مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليــّــــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الرابع والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: أربعة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـــوان	الصفحــة
جماليات التواصل الكلامي في الحديث النبوي صحيح البخاري أنموذجاً أ.م.د. محمد ذنون يونس	١ – ٣٤
التجديد الأسلوبي في الخطاب الشعري عند ابن عبد ربه الأندلسي – (٢٤٦ – ٣٢٨ هـ) المحصات انموذجاً أ.م.د. مازن موفق صديق الخيرو و أ.م.د. غيداء أحمد سعدون	٣٥ – ٥٠
الثلاثيات القرآنية دراسة بلاغية ـ سورة البقرة إنموذجاً ـ أ.م.د. قاسم فتحي سليمان	٥١ – ٩٨
جماليات الأنساق الضدية في شعر ابن مُقبل أ.م.د.آن تحسين الجلبي	٩٩ – ١٢٨
شعر الشمردل اليربوعي دراسة إيقاعية أ.م.د. نهى محمد عمر و م.م. نور مخلف صالح	١٢٩ – ١٦٦
الترابط النحوي والتماسك النصي في أدعية النوم قوله (ﷺ) : (اللهم اسلمت نفسي .....) انموذجاً م.د.عبد الله خليف خضير الحياني	١٦٧ – ١٨٤
ديوان المعتمد بن عباد (دراسة في معجمه الشعري) م.د.فـواز أحمد محمد صالح	١٨٥ – ٢٢٢
الحِجاج في بناء الجملة الاستفهامية في القرآن الكريم (نماذج تطبيقية) م.م.سعد موفق سعيد	٢٢٣ – ٢٤٤
اللغة الشعرية في شعر المتنبي م.م.طارق حسين علي النعيمي	٢٤٥ – ٢٦٤
وجوه مطالب التفسير في ضوء مقدمة جامع البيان للطبري أ.م.د. عبدالستار فاضل خضر النعيمي	٢٦٥ – ٢٩٦
مفهوم التسامح في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٢٩٧– ٣٢٠
أثـر الرؤيـة السيـاقية في دلالـة العـامِّ عند الإمـام الشـاطبـيِّ(٧٩٠هـ) م.د. عمار غانم محمد المولى	٣٢١– ٣٦٠

حماية الحيوان في القانون العراقي القديم أ.م.د. عبدالرحمن يونس عبدالرحمن الخطيب	٣٦١– ٣٨٠
انتشار الإسلام في بلاد ماوراء النهر أ.د. أحمد عبدالعزيز محمود	٣٨١– ٤٠٢
الحياة العلمية في بلاد القفقاس (ارمينية واذربيجان) حتى نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أ.م.د.محمد عبدالله احمد و م.د. عماد كامل مرعي	٤٠٣ – ٤٣٤
مكانة الأحباش في السنة النبوية أ.م.د.بشار اكرم جميل	٤٣٥– ٤٥٠
التأمين الاجتماعي في بريطانيا ١٩٠٥–١٩٤٥ دراسة تاريخية أ.م.د. اياد علي الهاشمي	٤٥١– ٤٨٨
آراء ابن الجوزي في الشيخ الصوفي سري السقطي (ت٢٥٣هـ /٨٦٧م) أ.م.د. عبد القادر احمد يونس	٤٨٩– ٥١٠
مختصر كتب الوفيات في العصر المملوكي مخطوطة المنتهى في وفيات أولي النهى لابن حمزة الدمشقي (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م(انموذجًا) أ.م.د. رائد أمير عبدالله الراشد	٥١١– ٥٥٠
عملية السلام في الشرق الأوسط ١٩٩١_١٩٩٣ وموقف الولايات المتحدة الامريكية منها م.د. محمود احمد خضر المعماري و م.د. عبد الرحمن جدوع سعيد التميمي	٥٥١– ٥٨٤
الحوليات السريانية مصدرا لدراسة تاريخ الموصل في فترة الاحتلال المغولي (تاريخ الزمان) لابن العبري أنموذجا(ت٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) م.د.هدى ياسين يوسف الدباغ	٥٨٥– ٦١٤
إسهامات علماء حصن كيفا في الحركة العلمية من مطلع القرن السادس حتى أواخر القرن التاسع للهجرة/ الثاني عشر – الخامس عشر للميلاد م.د. نشوان محمد عبدالله م.د. قيس فتحي احمد	٦١٥– ٦٤٠
الأديب عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) دراسة في سيرته العلمية م.د. حنان عبد الخالق علي السبعاوي	٦٤١– ٦٥٨

معوقات المرأة العاملة المتزوجة منذ عام ٢٠٠٣ دراسة ميدانية في معمل الألبسة الجاهزة / ولدي / في مدينة الموصل أ.م.د. جمعة جاسم خلف	٦٥٩– ٦٨٨
الاثار النفسية والاجتماعية للموضة (بحث ميداني في مدينة الموصل) م.ابتهال عبد الجواد كاظم	٦٨٩– ٧١٦
حقوق الانسان لدى ابرز مفكري العقد الاجتماعي دراسة اجتماعية – تحليلية م. ريم أيوب محمد	٧١٧– ٧٥٢
الثقافة الصحية للأسرة وأثرها على عملية التنمية الاجتماعية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. هناء جاسم السبعاوي	٧٥٣– ٧٨٦

الثلاثيات القرآنية دراسة بلاغية

ـ سورة البقرة إنموذجاً ـ

أ.م.د.قاسم فتحي سليمان *

تأريخ التقديم: ٢٠١٤/٣/٢٣ تأريخ القبول: ٢٠١٤/٥/٧

توطئــة :

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد :

الآيات الثلاثية الواردة في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة الأهداف والغايات ، وهي تدفع إلى التأمل والدراسة ، وبالأعم الغالب تشكل صورة متكاملة أو مشهداً يُكمل بعضه بعضاً ، ويؤدي إلى معنى مترابط وثيق يهدف إلى غاية إيمانية .

وقد كان البحث في أول أمرهِ يتناول الثلاثيات القرآنية في القرآن الكريم جميعاً ، ولكن حينما شرعت في دراسة هذهِ الآيات ، وجدتُ أنّها كثيرة يمكن أن تشكل رسالة ماجستير أو أُطروحة دكتوراه ، مما اضطرني إلى أن اقتصر على دراسة الثلاثيات الواردة في سورة البقرة ، والذي دفعني إلى دراسة هذا الثلاثيات القرآنية في هذه السورة كونها حوت أكثر من عشرين إنموذجاً ما بين ثلاثية فعلية أو إسمية أو مُتضمنة النوعين معاً .

والثلاثيات القرآنية إما أن تكون لها إرتباط من حيث المعنى كأن يكون إرتباط جمل مع بعضها . كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الآية : ٣] ، أو كأن يكون بشكل حوار مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الآية : ٦٧] .

أو أن يكون قد تكرر الفعل ثلاث مرات مثل تكرار كلمة ﴿ قَالَ ﴾ في آية واحدة كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الآية : ١٢٤] .

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

أو أن يكون إرتباط كلمات لها علاقة بعضها ببعض كما في قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية : ١٨] .

أو أن يكون الإرتباط في الثلاثية من خلال حرف العطف الواو كقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الآية : ٧] .

أو قد تكون الثلاثية جزء من آية وتشكل علاقة وثيقة مع بعضها مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [الآية : ١٩] ، وغير ذلك من الآيات التي وجدتُ أنها تشكل ثلاثة جوانب أو معاني بلاغية ، وقد بدأت البحث بنبذة مختصرة عن مفهوم الثلاثية ثم قسمتُ البحث على ثلاثة مباحث : **المبحث الأول** : تناولت فيه الثلاثيات الفعلية، وأما **المبحث الثاني** : فقد تناولت فيه الثلاثيات الأسمية، **والمبحث الثالث** : درستُ فيه الثلاثيات الأسمية والفعلية ، وهذا المبحث كانت شواهدهُ أكثر من المبحثين السابقين .

نبذة مُختصرة عن مفهوم الثلاثية

إنّ لفظة الثلاثية وردت عند العلماء قديماً ، وقد عرضوا لها في كتبهم ، ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) حيث قال : " الثلاثيّ : ما نُسِبَ إلى ثلاثة أشياء " [١] ، فقد صرّحَ الخليل بِلفظة (الثلاثيّ) وهي مُذكر الثلاثية وهذا ما أرمي إليه حينما أطلقتُ عنوان الثلاثية على هذا البحث . وقد سمى ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) كتابه بـ (المثلث) إذ تناول فيه كل ثلاث كلمات مُتشابهة من حيث المبنى ومختلفة من حيث المعنى إذا إختلفَ تشكيلها مثل (البَرُّ : خِلافُ البحر ، البِرُّ : الإكرام ، البُرُّ : الحنطة) [٢] . فهناك علاقة بين هذهِ الألفاظ الثلاثة من حيث مبناها . والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) عرض أيضاً في كتابه لمادة (ثَلثَ) إذ قال : " حبلٌ مثلوث أي : فُتِلَ على ثلاث قوى " [٣] . وكلمة الثلاثية مُشتقة من ثلاث .

---

(١) كتاب العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، مادة : (ثلث) : ٨ / ٢١٥ .

(٢) المثلث ، ابن السيد البطليوسي : ١ / ٣٥٧ . ٣٥٨ .

(٣) أساس البلاغة ، مادة : (ثلث) : ٤٦ .

ومن الباحثين المُحدثين من عرضَ لمفهوم الثلاثية ، مِنهم د . زيد بن محمد الرماني في كتابه المسمى (مِن كنوز القرآن الكريم ــ ثلاثيات قرآنية) بيد أنّ هذا الكتاب كانت طريقة تنولهِ للثلاثية القرآنية مُختلفة، إذ إنه تناول الأمثال والحكم والوصايا المذكور فيها لفظ ثلاثة ثم قابلها واستشهد عليها بثلاث آيات من القرآن الكريم ، ثم عرضَ للآيات التي وردت فيها لفظة ثلاث ومشتقاتها، أمّا الإتجاه الثالث فذكر فيهِ أي لفظة قد تكررت في ثلاثة مواضع مُختلفة من القرآن الكريم ، وتناول في الإتجاه الرابع ثلاثية واردة في آية واحدة كما في بحثنا هذا ، بيد أنهُ لم يتطرق إلى أي غرض بلاغي وقد ذكرها بشكل ملاحظ دلالية [١] .

ومن المحدثين أيضاً من ذكر الثلاثيات الواردة في الكتاب والسنّة ، ولكنه تناول في بحثهِ كلمة (ثلاثة) فقط [٢] ، ومنهم من عرض للثلاثيات ولكن من جانب اللغة العربية ، فمثلاً عرض عبد الله عقيل اللهيبي في بحثهِ المسمى (ثلاثيات اللغة العربية) للكلمة وأنها تُقسم إلى (الأسم والفعل والحرف) وإلى الفعل الذي يُقسم إلى (الماضي والمضارع والأمر) [٣] . بيد أنّ تناولي للثلاثيات القرآنية في القرآن الكريم ودراستي لها كانت مختلفة عمّا سبق ، ولكن الفكرة مُتشابهة ، إذ إنّي تناولتُ الثلاثيات الواردة في الآية الواحدة ، ولكن بشرط أنَّ هناك علاقة أو رابطة تربط بينهم ، كأن تكون ثلاثية فعلية في آية واحدة . ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الآية : ٣] ، فقد ضمّت هذه الآية ثلاث جمل توضح لنا صفات المتقين ، أو أن تكون ثلاثية أسمية كقوله تعالى : ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية : ١٨] فهذهِ الآية وصفت لنا حال المنافقين وكونهم صم بكم عمي ، وإما أن تكون ثلاثية اسمية وفعلية في آية واحدة كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية : ٤٢] . وكانت دراستي لتلك الآيات دراسة بلاغية ، ولم أقف على دراسة بلاغية مُتخصصة لهذهِ الثلاثيات القرآنية ، إذ إنّ الدراسات التي وقفتُ عليها كانت إمّا دراسة دلالية أو لغوية أو

(١) ينظر : من كنوز القرآن الكريم (٣) . ثلاثيات قرآنية . ، د . زيد بن محمد الرماني .
(٢) ينظر : الخمسون البينية من ثلاثيات الكتاب والسنة ، ذباب عبد الكريم .
(٣) ينظر : ثلاثيات اللغة العربية ، عبد الله عقيل اللهيبي .

من خلال لفظة ثلاث ومشتقاتها . ولذا حاولت أن أدخُل إلى هذا المنحى الجديد من خلال دراسة الثلاثيات القرآنية في سورة البقرة دراسة بلاغية، وأن أُبرز الأغراض والجوانب البلاغية فيها مع تبيين العلاقة والترابط في هذه الثلاثية القرآنية .

المبحث الأول

الثلاثيات الفعلية الواردة في سورة البقرة

يتناول هذا المبحث الآيات المتضمنة أفعالاً ثلاثة ، وردتْ في آية واحدة ، لها إرتباط بعضها مع بعض من حيث المعنى . وقد تكون واردة بالصيغة نفسها ، كأن تكون جميعها بصيغة الماضي ، أو المضارع ، أو الأمر . أو قد تكون مختلفة من حيث أزمنة الفعل ، كأن يكون ماضياً مع مضارع ، أو أمراً مع مضارعه ، ومن الشواهد الواردة في هذه السورة :

١ . قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الآية : ٣] .

هذهِ الآية ضمّت ثلاثة أفعال ، وهي مبدوئة بإسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ والفعل المضارع ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، والجزء الأول من الثلاثية تمثل بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ والإيمان هو التصديق والعمل والخشية ، وهي كلمة جامعة للإيمان بالله وملائكته وكتبهِ ورسلهِ واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه . والتصديق هو الإقرار [١] " وأصل الغيب كل ما غاب عنك من شيء " [٢] ، وللغيب ستة معانٍ وهي أنّه : **الأول** : الوحي ، **والثاني** : القرآن ، **والثالث** : الله ﷻ ، **والرابع** : ما غاب عن النّاس مِثل الجنة والنار ، **والخامس** : أنّه قدر الله ﷻ ، **والسادس** : الإيمان بالرسول محمد ﷺ [٣] . وقد عُيّن الإيمان بالغيب دون غيرهِ وذلكَ " لأنّ الإيمان بالغيب أي ما غاب عن الحس وهو الأصل في إعتقاد

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : ١ / ٤٠ .

(٢) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري : ١ / ٣٣٧ .

(٣) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي : ١ / ٢٤ .

إمكان ما تُخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي " [١] . والفرق بين الغيب والغائب هو أنّ " الغائب من لا يراك ولا تراه ، والغيب من لا تراه وهو يراك ، فالله تعالى غيب ولا غائب " [٢] ، وفي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أطلق المصدر وأراد اسم الفاعل لأنه بمعنى الغائب مبالغة فيه [٣] . وقد جاءت صفة ثانية للمتقين أو علامةً أخرى لهم وهي إقامة الصلاة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ويقيمون من الإقامة ، يقال أقمتُ الشيء إقامةً إذ أديتُ حقّهُ ، وعبّر سبحانه عن الصلاة بـ ﴿ يُقِيمُونَ ﴾ لأنّ القيام بعض أركانها [٤] ، وذُكِرَ في إقامة الصلاة ثلاثة أقوال : أنّه تمام فِعلها على الوجه المطلوب ، والآخر : أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، والثالث : إدامتها واستمرارها [٥] .

وقد ذكر عبد الرحمن السعدي في كتابه أنه سبحانه " لم يقل يفعلون الصلاة أو يأتون بالصلاة لأنه لا يكفي فيها مُجرد الإتيان بصورتها الظاهرة ، فإقامة الصلاة إقامتها ظاهراً بإتمام أركانها وواجباتها ، وشروطها ، وإقامتها باطناً بإقامة روحها ، وهو حضور القلب فيها ، وتدبر ما يقوله ويفعله مِنها " [٦] . وكلمة ﴿ يُقِيمُونَ ﴾ تفيد التجدد حينما جاءت بصيغة المضارع . وهو يدل على تأكيد المواظبة على الصلاة ، وفي هذه الجملة الفعلية ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إستعارة تبعية " فهو يُشبه تعديل الأركان بتقويم العود بإزالة إعوجاجهِ فهو قويم تشبيهاً له بالقائم ثم أُستعير الإقامة من تسوية الأجسام التي صارت

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، للإمام الشيخ محمد الطاهر بابن عاشور : ١ / ٢٣٠ .

(٢) المقتطف من عيون التفاسير ، مصطفى الحصن المنصوري : ١ / ٢٩ .

(٣) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين بن عبد الله الآدمي العلوي الهَرَري الشافعي : ١ / ١٣٢ .

(٤) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي : ١ / ١١٥ .

(٥) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ١ / ٢٥ .

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي : ٤١ .

حقيقةً فيها لتسوية المعاني كتعديل أركان الصلاة على ما هو حقها " [١] ، وجاء الرزق في هذه الثلاثية القرآنية بعد الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة ، فبعدهما جاء الوصف الثالث للمتقين في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ والرزق على نوعين: حلال وحرام . والمقصود في هذه الآية الرزق الحلال ، فالقرينة ههنا تُميزهُ بالحلال ، لأنّ المقام مقام المدح وليس مقام ذم [٢] . وقوله : ﴿ رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ فيه دلالة على أنْ ينفق من دون منّة ، لأنّ الله هو الرزاق له ، وفيه أنّ الإنفاق من المنفق بحيث لا يأخذ من زيد ويعطي عمراً .

وقد جاءت لفظة الرزق بصيغة الجمع ، من خلال ضمير جماعة المتكلمين في قوله تعالى : ﴿ رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ مع أنه تعالى واحد لا شريك له و" لأنه خطاب الملوك والله تعالى مالِك الملك ، وملِك الملوك " [٣] . ولم يذكر تعالى من هو المُنفق في الآية الكريمة ، والعلّة في ذلك لكثرة أسباب الرزق وتنوع أهلهِ ، وفي هذا المقطع من الآية الكريمة أوجه بلاغية كالتقديم والتأخير، كتقديم ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ على ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ والعلّة في ذلك " اعتناءً بما خوّل الله تعالى للعبد أو لأنه مقدم على الإنفاق في الخارج ، ولتناسب الفواصل " [٤] . والغاية من التقديم للإهتمام والعناية [٥] ، وهناك حذف في قوله تعالى ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ أي المال ، ولفظة ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ جاءت مطلقة شملت بالإضافة إلى المال العلم والجاه وما إلى ذلك ، فحُذِف المفعول به [٦] . وفي هذه الثلاثية ذكر تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ ، ثم جاء الوصف الآخر بإقامة الصلاة ، ثم جاء الارتباط الثالث بالإنفاق بقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١ / ١١٨ ؛ ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٢٣١ .

(٢) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ١١٤ .

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ١١٥ .

(٤) روح المعاني : ١ / ١١٨ .

(٥) ينظر : المقتطف من عيون التفاسير : ١ / ٢٩ .

(٦) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش : ١ / ٤١ .

﴿ رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . فمن التبعيضية دالة على أنه ينفق لوجه الله جزء من مالهِ لا كلهُ [١] . ولم يُبيّن هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه على الفقراء والذي ينبغي إمساكه لنفسهٍ ، ولكنه بيّن في آيات أُخرْ أنّ القدر الذي ينبغي إنفاقه : هو الزائد على الحاجة ، وسد الخلّة التي لا عنى عنها ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [الآية : ٢١٩] . والمُراد بـ ﴿ ٱلْعَفْوَ ﴾ الزائد على قدر الحاجة التي لابُدّ مِنها على أصح التفسيرات [٢] . ويرى بعضهم أنّ معنى من التبعيضية هو أنّها دالة على " الكف عن التبذير " [٣] . والرابط في هذه الثلاثية " أنه سبحانه ذكر في الآية الإيمان ، وهو بالقلب ، ثم الصلاة وهي بالبدن ، ثم الإنفاق وهو بالمال ، وهو مجموع كل العبادات ، ففي الإيمان النجاة، والصلاة المناجاة ، وفي الإنفاق الدرجات ، وفي الإيمان البشارة ، وفي الصلاة الكفارة ، وفي الإنفاق الطهارة ، والإيمان العزة ، وفي الصلاة القُربة ، وفي الإنفاق الزيادة " [٤] . وهذه الثلاثية متفاوتة الرتب ، " فرتب ﷻ ذلك مُقدماً الأهم فالأهم ، والألزم فالألزم ، لأنّ الإيمان لازم للمكلف في كل آن والصلاة في أكثر الأوقات والنفقة في بعض الحالات " [٥] ، وهذا الإرتباط بين هذهِ المعاني يَدُل على التناسق ، والتماسك في هذه الوحدة القرآنية المعجزة . وقد حوت هذه الآية فنّاً بلاغياً آخر وهو التقسيم ، ومعناه " إستيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه " [٦] ، وتمثل التقسيم في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ و ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ و ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ والغرض البلاغي في هذه الثلاثية القرآنية هو لبيان حال المتقين وذكر صفاتهم من أجل الاهتمام والعناية ، وذلك لأنهم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في سبيله .

---

(١) ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختزار الجنكي الشنقيطي : ١ / ٥٥ .

(٢) ينظر : م . ن : ١ / ٥٥ . ٥٦ .

(٣) المقتطف من عيون التفاسير : ١ / ٣١ .

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ١١٥ .

(٥) روح المعاني : ١ / ١١٩ .

(٦) علم البديع ، د . عبد العزيز عتيق : ١٠٤ .

٢ . قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الآية : ٢٧] .

هذهِ الآية القرآنية جمعت أوصاف الفاسقين ، فمِن أوصافهم أنهم ينقضون عهد الله وليس هذا فحسب ، وإنما يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، والثالثة يفسدون في الأرض ، وكأن الرابط في الآية أنّ الذي ينقض عهد الله يقطع رحِمَهُ ومن يصنعهما فإنّهُ مُفسد في الأرض ، وهناك ترابط واضح في حال هؤلاء . وسيد قطب يصف هذا الترابط على أنه صورة واضحة لصفات الفاسقين فيقول : " إنّ الصورة هنا هي المطلوبة في عمومها فكل عهد بين الله وبين هذا النموذج من الخلق فهو منقوض ، وكل ما أمر الله بهِ أن يُوصل فهو بينهم مقطوع وكل فساد في الأرض فهو مِنهم مصنوع. إنّ صلة هذا النمط من البشر بالله مقطوعة، وإنّ فطرتهم المنحرفة لا تستقيم على عهد ولا تستمسك بعروة ولا تتورع عن فساد " [١] ، والله تعالى عدّد أوصاف هؤلاء الفاسقين فهم ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ و ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ واللفظ عام في كل قطيعة لا يرضاها الله، ويفسدون في الأرض بالمعاصي والفتن والمنع عن الإيمان وإثارة الشبهات حول القرآن [٢] .

ومطلع الثلاثية ورد باسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الذي جاء مرتبطاً بصيغة المضارعة ﴿ يَنقُضُونَ ﴾ وعطف المضارعين عليه ﴿ وَيَقْطَعُونَ ﴾ و ﴿ وَيُفْسِدُونَ ﴾ وهذا دليل على الاستمرارية أو تجدد النقض والقطع والإفساد ، والإشعار بالديمومة وهو أبلغ من الذم [٣] . والنقض هو فك الارتباط مِنَ الأمور الحسية الملموسة مِن العهد أو الحبل أو الغزل ، والنقض " أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما ، لأنّ في النقض إفساداً لهيأة الحبل وزوال رجاء عودها وأمّا القطع فهو التجزئة " [٤] . وفي لفظة ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ إستعارة مكنية إذ إنه شبّه العهد " بالحبل المُبرم ثم حذف المشبه بهِ ورمز إليه بشيء من خصائصهِ أو لوازمهِ ، وهو النقض ، لأنه إحدى دالتي الحبل ،

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ١ / ٤٥ .
(٢) ينظر : صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم ، للشيخ محمد علي الصابوني : ١ / ٤٥ .
(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بابن حبّان الأندلسي : ١ / ٢٧٤ .
(٤) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٣٦٨ .

وهما النقض والإبرام [١] . وأما السبب في " استعمال النقض في إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط أحد كلامي المتعاهدين بالآخر " [٢] .

ويقول الزمخشري " هذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه " [٣] ، وهذه الاستعارة المكنية تعني تفريق طاقات الحبل ، وربطه بالعهد لتشبيهه بهِ في الربط بين الطرفين ، ولقد ذكر النقض قرينةً [٤] ، وقد رمز الصحابي أبو الهيثم التيهان في حادثة العقبة الثانية إلى الصلة التي كانت بينهم وبين اليهود بالحبال حينما قال : **((يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها . يعني اليهود . فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدمْ الهَدمْ ، إنّا منكم وأنتم منّي ، أحارب مَنْ حاربتم وأُسالم من سالمتم))** [٥] . وأما العهد الوارد في الثلاثية فهو " وصية الله إلى خلقهِ " [٦] .

أما الجوزي فيذكر أنّ العهد له ثلاثة معانٍ ، وهي : **الأول** : " أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد والوصية بإتباعهِ ، **والثاني** : أنه ما عُهد إليهم في القرآن فاقروا بهِ ثم كفروا ، **والثالث** : أنه الذي أخذه عليهم حين استخرج ذرية آدم من ظهرهِ " [٧] . وقوله تعالى : ﴿ **مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ** ﴾ فالضمير في ﴿ **مِيثَٰقِهِۦ** ﴾ عائد على العهد لأنه المُحدث عنه ، وأُجيز أن يكون عائداً على الله تعالى : أي من توثيقهِ عليهم ، أو من بعد ما وثق

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١ / ٧٩ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٢٨٦ .

(٢) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبي السعود محمد بن محمد العمادي : ١ / ١٣١ ؛ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانهِ ، محمود الصافي : ١ / ٨٩ .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل ، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي : ١ / ٢٦٨ .

(٤) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : عبد الكريم محمد المدرس : ١ / ١٢٤ .

(٥) السيرة النبوية ، لابن هشام : ٢ / ٨٥ .

(٦) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ٤١٠ .

(٧) زاد المسير في علم التفسير : ١ / ٥٦ .

بـه عهـده ، والميثـاق مفعـول مـن الوثاقـة وهـو الشـد فـي العقـد [١] ، وهـذا الميثـاق إنمـا هـو كنايةً قد تكون عائدة إما إلى الله تعالى وإمّا على العهد أي من بعد ميثاق العهد وتوكيدهِ [٢].والمقطع الثاني من الثلاثية المتمثل بقوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ " يعني : الأرحام ، وذلك أنّ قُريشاً قطعوا رحم رسول الله ﷺ بالمعاداة معه " [٣] ، وإنّ مِن الذي أمرنا الله بـه هو أن نصل ما بيننا وبينهُ بالإيمـان بـهِ والقيام بعبوديته وحقوقهِ ، وما بيننـا وبـين رسـوله بالإيمـان بـهِ ومحبتـهِ وتـوقيرهِ ، ومـا بيننـا وبـين الوالـدين والأقـارب والأصحاب وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمرنا الله بأن نصلها [٤] ، والأمر في هذه الجملة هو " طلب الفعل ممن دونك وبعثه عليه وبهِ سمى الأمر الذي هو واحد الأمور لأنّ الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شُبه بآمر يأمره بهِ فقيل له أمر تسمية للمفعول بهِ بالمصدر كأنه مأمور بهِ " [٥] . " ومعنى الكلام ويقطعون الذي أمر الله بأن يوصل . والهاء التي في ﴿ بِهِۦٓ ﴾ هي للكناية عن ذكر ﴿ أَن يُوصَلَ ﴾ [٦] . وفي لفظتي ﴿ وَيَقْطَعُونَ ﴾ و ﴿ يُوصَلَ ﴾ طباق حيث ذكر تعالى القطع ثم الوصل ، وفي قوله تعالى : ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ طبـاق بـين لفظتـي ﴿ يَنقُضُونَ ﴾ و ﴿ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ حيـث ذكـر الـنقص ثـم التوثقـة . وأمـا فـي قولـه تعـالى : ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فـالمعنى " استدعائهم إلـى الكفر والترغيـب فيـهِ وحمل النـاس أو قطـع الطريـق علـى من هـاجر إلـى النبي ﷺ أو نقض العهد أو كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها " [٧] .

---

(١) ينظر : تفسير البحر المحيط : ١ / ٢٧٤ .

(٢) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبي الحسن بن أحمد الواحدي النيسابوري : ١ / ١١٠ ؛ التفسير البسيط ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي : ١ / ٢٨٥ .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١ / ١١٠ .

(٤) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٤٨ .

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ١ / ٢٦٩ .

(٦) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ٤١٥ .

(٧) تفسير البحر المحيط : ١ / ٢٧٤ .

ويتضح فساد الفاسقين " بمعصيتهم ربهم وكفرهم بهِ وتكذيبهم رسوله وجحدهم بنبوتهِ وإنكارهم ما أتاهم بهِ من عند الله أنه هو من عندهِ " (١) ، وختمت الثلاثية بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ، ففي كلمة ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ ﴾ " قصر قلب لأنهم ظنّوا أنفسهم رابحين وهو استعارة مكنية تمثيلية " (٢) ، وكلمة ﴿ أُوْلَئِكَ ﴾ كأنها الرابط في الثلاثية أي أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقض والقطع والإفساد سبب خسرانهم إستبدالهم النقض بالوفاء والقطع بالوصل والإفساد بالإصلاح والعقاب بالثواب ، وقيل خسروا نعيم الآخرة وخسروا حسناتهم التي عملوها أُحبطوا بكفرهم ، والآية في اليهود والمنافقين (٣) . وفي الثلاثية إخبار إذ إنّ الله " يخبرنا أنّ الفاسقين هم المبتعدون عن منهج الله ، وأول صفاتهم أنهم لا عهد لهم مع خالقهم ، وأمرنا الله بأن نصل أرحامنا وقطعوا هذهِ الصلة ، ويفسدون في الأرض " (٤) .

ويقول ابن عباس (**رضي الله عنهما**) : " كل شيء نسبهُ الله إلى غير أهل الإسلام مثل خاسر ومسرف وظالم ومجرم وفاسق ، فإنما يعني بهِ الكفر ، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني بهِ الذم أو الذنب " (٥)، وهذه الثلاثية الترابط فيها متلازم والمناسبة فيها فيها واضحة وترتيب هذهِ الصلات غاية الجمال لأنه قد بدأ أولاً بنقض العهد وهو أخص هذهِ الثلاث ثم ثنى بقطع ما أمر الله بوصله وهو أعم من نقض العهد وغيره ، ثم أتى ثالثاً بالإفساد الذي هو أعم من القطع ، وكلها ثمرات الفسق ، فالغرض من الثلاثية هو توالي الدواعي ، فالداعي الأول هو نقض عهد الله ، والثاني يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، والثالث : الفساد في الأرض .

---

(١) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ٤١٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١ / ٣٧٢ .

(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ١ / ٢٧٤ .

(٤) زبدة التفاسير ، محمد متولي الشعراوي : ١٥ .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني : ١ / ١٥٠ .

٣ . قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الآية : ٣٥] .

ورد في هذه الآية الثلاثية القرآنية أمرين ونهي ، فالأمر الأول : هو لآدم بأن يسكن الجنة ، والثاني : بأن يأكل من الجنة رغداً ، والثالث : بصيغة النهي ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . وجاءت هذه الثلاثية بصيغة الإخبار ، فكأن الله أخبرنا عمّا جرى بينه وبين آدم عليه السلام ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴾ " هو خطاب الأكابر والعظماء فأخبر الله تعالى عن نفسهِ بصيغة الجمع لأنه مَلِك الملوك " [١] ، وتصدرت الثلاثية صيغة النداء ، وهذا النداء هو " نداء تنويه بذكر إسمهِ بين الملأ الأعلى لأنّ نداءه يسترعي إسماع أهل الملأ الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب بهِ " [٢] .

ويقول أبو السعود " وهذا تذكير لنعمة أخرى موجبة للشكر مانعة للكفر وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور بهِ " [٣] ، فالغرض من هذا النداء هو التنبيه . ويقول ابن عباس(**رضي الله عنهما**) سمي آدم بهذا الأسم " لأنه خُلق من آديم الأرض" [٤] وجاء بعد هذا النداء الأمر الأول (بالسكنى) ، وهو بمعنى " اتخاذ المسكن لا من السكون وترك الحركة إذ ينافيه ظاهراً " [٥].ومن معانيه اللبث والاستقرار والإقامة الذي هو ضد الحركة [٦] . و ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ " أي : إتخذها مأوى ومنزلاً ، وليس معناه : استقر في مكانك ولا تتحرك ، وهذا اللفظ مشترك ، يقال : أسكنه ، أي : أزال حركتهُ ، وأسكنه مكان كذا ، أي : جعله مأوى ومنزلاً له ، فالأول الأصل ، وقالوا : منه السِّكين ، لأنه الآلة التي تُسكن حركة الحيوان " [٧] .

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٣١٣ .
(٢) التحرير والتنوير : ١ / ٤٢٨ .
(٣) تفسير أبي السعود : ١ / ١٥٧ ؛ ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٣٢ .
(٤) التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بن بشير بن ياسين: ١٤١ .
(٥) روح المعاني : ١ / ٢٣٢ .
(٦) ينظر : الكشاف : ١ / ٢٧٣ ؛ تفسير أبي السعود : ١ / ١٥٧ .
(٧) التفسير البسيط : ١ / ٣٧٧ .

وقد وردت لفظة ﴿ اسْكُنْ ﴾ وهي " تنبيه على الخروج ، لأنّ السُكنى لا تكون مِلْكاً ، ولهذا قال بعض العارفين السكنى تكون إلى مدةٍ ثم تنقطع ، فدخولهما في الجنة كان دخول سُكنى لا دخول إقامة " (١) ، وقد ذكر تعالى ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ولم يقل : إنّ لكما الجنة ، والعلّة في ذلك أنّ في علمهِ تعالى أنهما يخرجان منها ، بسبب المخالفة ، بينما قال تعالى في حق المؤمنين في الآخرة : ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] لمّا لم يكن لهم خروج منها بعد دخولها (٢) ، و ﴿ اسْكُنْ ﴾ " لفظه لفظ الأمر ومعناه الأذن " (٣) ، وقد اختلف العلماء في لفظة ﴿ اسْكُنْ ﴾ هل هو أمر تكليف أو إباحة ؟ والأصوب أنّ ذلك الإسكان مُشتمل على المعنيين ، أمّا الإباحة فهو أنه **عليه الصلاة والسلام** كان مأذوناً في الإنتفاع بجميع نِعم الجنة ، وأمّا التكليف فهو أنّ المُنهى عنهُ كان حاضراً وهو كان ممنوعاً عن تناوله (٤) . ولفظة ﴿ أَنتَ ﴾ " تأكيد للمستكن في سكن " (٥) ، وهو أيضاً تخصيص لآدم عليه السلام وزوجتهِ ، وأمّا قوله تعالى ﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ فهي " لفظة مذكر ومعناه مؤنث ، وذلك أنّ الإضافة تلزم هذا الأسم في أكثر الكلام " (٦) .

ويقول الآلوسي : " هناك تغليبان تغليب المخاطب على الغائب ، والمذكر على المؤنث ، ولكون التغليب مجازاً ومعنى السكون والأمر موجوداً فيهما حقيقةً خفى الأمر " (٧) . وجاء الأمر الثاني في هذه الثلاثية القرآنية في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا ﴾ " أي من ثمارها ، وإنما وجّه الخطاب إليهما تعميماً للتشريف والترفيه ، ومبالغة في إزالة العلل والأعذار ، وإيذاناً بتساويها في مباشرة المأمور بهِ ، فإنّ حواء أُسوة له عليه السلام في الأكل

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي : ١ / ٤٤٥ .
(٢) ينظر : المقتطف من عيون التفاسير : ١ / ٦٨ .
(٣) المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي : ١٢٦/١ .
(٤) ينظر : تفسير الكبير : ٣ / ٣ .
(٥) الكشاف : ١ / ٢٧٣ ؛ ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٣٢ .
(٦) التفسير البسيط : ١ / ٣٧٧ .
(٧) روح المعاني : ١ / ٣٣٣ .

بخلاف السُكنى ، فإنها تابعة له فيه " [1] ، وقد حذفت النون في ﴿ وَكُلَا ﴾ لأنه أمر ، وقد حذفت الهمزة في ﴿ وَكُلَا ﴾ لكثرة الاستعمال [2] ، وهذا الأمر يدل على الإباحة بدليل قوله تعالى ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ فإن شاءا أكلا وإن لم يشاءا لم يأكلا ، وأمّا لفظة ﴿ رَغَدًا ﴾ فمعناها " لا حساب عليهم " [3] . وذكر النحّاس أنّ لفظة ﴿ رَغَدًا ﴾ هي " نعت لمصدر محذوف أي أكلاً رغداً " [4] ، وقد عطف تعالى بهذه الثلاثية بحرف العطف الواو في الأمر الثاني ﴿ وَكُلَا ﴾ على الأمر الأول ﴿ اسْكُنْ ﴾ دون الفاء " لأنّ اسكنوا من السكنى ، وهي المقام مع طول لبث ، والأكل لا يختص وجودهُ بوجودهِ ، لأنّ من يدخل بُستاناً قد يأكل منه وإن كان مُجتازاً ، فلمّا لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالإبتداء وجبَ العطف بالواو دون الفاء " [5] .

ثم جاء النهي بعد الأمرين السابقين بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ و ﴿ لَا ﴾ هي ناهية للتحريم ، ومعنى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ أي ولا تأكلا من الشجرة " لأنّ قربانها إنما هو لقصد الأكل منها ، فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل ، لأنّ القرب من الشيء ينشئ داعية وميلاً إليه " [6] ، وقد حُذفت النون بسبب النهي ، فالنهي عنه " هو الأكل من ثمار الشجرة وتعليق النهي بالقرب منها لقصد المبالغة في النهي عن الأكل إذ النهي عن القرب نهي عن الفعل بطريق أبلغ " [7] ، وهذا النصف من الثلاثية القرآنية إنّما هو إخبار من الله ﷻ لنا بما اختبر بهِ الله تعالى نبيه آدم عليه السلام .

---

(١) تفسير أبي السعود : ١ / ١٥٨ .

(٢) ينظر : ألجامع لأحكام القرآن : ١ / ٤٦١ .

(٣) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ٥١٥ ؛ الجامع لاحكام القرآن : ١ / ٤٦١ .

(٤) إعراب القرآن : ١ / ١٦٣ .

(٥) درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي : ١١ .

(٦) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٤٣٢ .

(٧) صفوة التفاسير : ٥١/١ ؛ ينظر : تفسير أبي السعود : ١٥٨/١ ؛ ينظر : البحر المحيط : ١ / ٣٠٩ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٣٤٧ ؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١ / ١٢١ .

وقد اختلف بعض العلماء هل أنّ لفظة ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ للوجوب أم للندب ؟ إذ ذكر بعضهم أنها على جهة الوجوب واستدل بقولهِ على " أنّ من ترك المندوب لا يسمى ظالماً ، فاقتضت لفظة الظلم قوة النهي " (١) . وقال آخرون : " أباح الله تعالى لآدم وحواء أن يأكلا كيفما يشاءان من الجنة ، ثم جاء النهي ، ولا تقربا من هذه الشجرة ، ولم يقل الحق ولا تأكلا من هذه الشجرة ،لأنّ الله رحمةً بآدم وزوجهِ كان لا يريدهما أن يقعا في المعصية " (٢) . والظاهر في الآية (والله أعلم) أباح لهما الله تعالى أن يأكلا ولكن خصّ شجرة بأن لا يأكلا منها ، وذلك على سبيل الاختبار والامتحان ، ولكن آدم عليه السلام نسي فأكل مِنها . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٥] " وهذا بالنسبة لمقام آدم يعتبر معصية وتقصيراً وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين " (٣) ، ولفظة ﴿ هَٰذِهِ ﴾ هي إشارة للقريب من المخاطب ، وقد اختلف العلماء في تعيين وتخصيص الشجرة ، فقالوا : إنّها السنبلة والكرم والحنطة والتين والبر (٤) ، ولم " يبين لنا ربنا هذه الشجرة فلا نستطيع أن نعينها من تلقاء أنفسنا بلا دليل ، ولأنّ المقصود يحصل بدون تعيين " (٥) ، فلا ضرورة إلى بيانه. وقوله تعالى ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ دالة على الإستمرارية وهو لزيادة المبالغة ، وهو بمعنى " جواب النهي : فيكون تأويله حينئذٍ لا تقربا هذه الشجرة فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين " (٦) ، والظلم له معانٍ منها : العصيان (٧) ، ومنه الاعتداء (٨) . والظلم أنواع : ظلم المرء لنفسهِ ، وظلم المرء لغيرهِ ، وظلم المرء مع ربهِ ، وغير ذلك . ولم يقل تعالى (فتكونا

(١) المحرر الوجيز : ١ / ١٢٨ .
(٢) زُبدة التفاسير : ١٧ .
(٣) المقتطف من عيون التفاسير : ٧٠ .
(٤) ينظر:التفسير الكبير: ٦/٣ ؛ ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: ١ / ١٦٤ .
(٥) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي : ١ / ٨٦ .
(٦) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ٥٢٣ .
(٧) التفسير البسيط : ١ / ٣٨٨ .
(٨) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٤٢٨ .

ظالمين) بل قال : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فهو أبلغ أنواع التحذير ، والتهديد ، والوعيد ، والمعنى " يعني من العريقين في الظلم " [1] ، وهذا النهي للتحريم ، والسبب في ذلك أنه جاء بعد هذا النهي لفظة ﴿ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وهذه الثلاثية القرآنية صوّرت لنا خطاب الله ﷻ مع آدم عليه السلام ، وقد حوت بيمن دفتيها العديد من الصيغ البلاغية مِثل الإخبار والنداء والأمر والنهي والمبالغة . والغرض البلاغي من هذهِ الثلاثية هو التشريف في مطلعها في لفظتي ﴿ ٱسْكُنْ ، وَكُلَا ﴾ ، والنهي في لفظة ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ .

٤ . قال تعالى :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [الآية : ٤٣].

فهذه الثلاثية القرآنية تتمثل في ثلاثة أوامر ، **الأول** : إقامة الصلاة ، **والثاني** : إيتاء الزكاة ، **والثالث** : أداء الركوع ، وقد ذكر الله تعالى في الآية الكريمة جملة من الشرائع كالصلاة والتي هي المقدمة والأصل لأنها أعظم العبادات البدنية ، والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية ، وأخيراً صلوا مع المصلين صلاة ذات ركوع وعلى هذا يزول التكرار ، لأنّ في الأول أمر تعالى بإقامتها وأمر في الثاني بفعلها في الجماعة وأنّ المراد بالركوع هو الأمر بالخضوع ، لأنّ الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهياً عن الاستكبار وأمراً بالتذلل لله تعالى [2] . ويقول ابن كثير في ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ " أي أمرهم أن يصلوا مع النبي ﷺ ، ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أمرهم أن يؤتوا الزكاة أي يدفعونها إلى النبي ﷺ ، ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أن يركعوا مع الراكعين من أُمة محمد ﷺ [3]. " وفي هذه الآية ذُكر حرف العطف (الواو) ثلاث مرات وهو " يفيد الإشتراك " [4] ، وهذا العطف جاء مرتبطاً بأفعال الأمر الثلاثة ﴿ وَأَقِيمُواْ ،وَءَاتُواْ،وَٱرْكَعُواْ ﴾ وفي ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

(١) صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ، عبد الرحمن محمد الدوسري : ١ / ٩٥ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٣ / ٤٤ . ٤٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٨٤ .
(٤) العطف في اللغة العربية (رسالة ماجستير) ، عبد الوهاب محمود الكحلة : ٣٠ .

﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ يقول الزمخشري " يعني صلاة المسلمين وزكاتهم " [١] ، وفي جملة ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ يُراد بالركوع الصلاة كما يُعبر عنها بالسجود . أي في الجماعة كأنه قيل : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وصلوها مع المصلين لا منفردين [٢] . وفي مطلع الآية ذُكرت الصلاة بصيغة الأمر وفي خاتمتها جاء الأمر بالركوع " لأنه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود ، لأنّ صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلّوا صلاة ذات ركوع ، فهذا المعنى أعادهُ بعد قولهِ ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لأنّ الأول خطاب الكافة ، والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود " [٣] . وقد جمعت الآية بين العبادات القلبية والبدنية والمالية وجمعت بين الأعمال الظاهرة والباطنة وبين الإخلاص للمعبود والإحسان إلى عبيدهِ ، وعبّر عن العبادة بِجزئها يدلُ على فرضيتهِ فيها [٤] ، وفي الآية مجاز مرسل في جملة ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي : صلّوا مع المصلين " أطلق الركوع وأراد الصلاة " [٥] ، فعبّر بالجزء وهو الركوع وأراد الكل وهو الصلاة ، فعلاقة هذا المجاز جزئية " [٦] . والجامع بين هذهِ الأوامر الثلاثة هو العبادة ، وهو السلك الرابط بينها . والله أعلم . والغرض البلاغي في الثلاثية هو لبيان أهمية الصلاة والزكاة ، وكذلك الركوع الذي هو جنس الصلاة الذي ذُكر فيهِ الجزء وأراد الكل من أجل التأكيد .

٥ . قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الآية : ٦٧] .

---

(١) الكشاف : ١ / ٢٧٧ .

(٢) ينظر : م . ن .

(٣) تفسير الخازن المسمى لبالب التأويل في معاني التنزيل ، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن : ١ / ٧١ .

(٤) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥١ .

(٥) صفوة التفاسير : ١ / ٥٤ ؛ الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة : ٣٢٠ .

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ١ / ١١٦ . ١١٧ .

هذه الثلاثية القرآنية حوار بين موسى عليه السلام وبين بني إسرائيل ، وقد جاءت بصيغة الفعل الماضي ﴿ قَالَ ﴾ الذي تكرر ثلاث مرات ، ليشكل قصة ، وقد بدأت هذه الثلاثية بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾ وهو للتأكيد على أنه حكاية لِما عبّر به نبي الله موسى عليه السلام من الاهتمام والعناية بهذا الخبر [١] ، وسبب أمرهم بذبح البقرة هو أنه كان في بني إسرائيل رجل غني ، فقتلهُ بنو عمهِ طمعاً في ميراثه فألقوه على باب المدينة، ثمَّ جاءوا يُطالبون بديتهِ، فجاء الأمر من الله عز وجل بأن يذبحوا بقرة ، ويضربوه ببعضها فيحيا، فيُخبرهم بقاتلهِ [٢] . وفي رواية " أنّ في بني إسرائيل شيخاً موسراً فقتل إبنه بنو أخيه ليرثوه " [٣] . وسواء أكان المقتول الشيخ الموسر نفسهُ أو إبنه فهو سيان فليس المهم أن يُعرف من هو المقتول . فهذا علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وإنما المهم الإمتثال لأمر الله وإطاعتهِ من دون مجادلة في أوامرهِ وإنّما علينا الإمتثال لها . والعلّة في أمرهم بِذبح البقرة واختيارها من غيرها من الحيوانات " لأنها من جنس ما عبدوهُ من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه مع تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته " [٤] .

يقول الطبري " هذه الآية مما وبّخ الله بِها المخاطبين من بني إسرائيل " [٥] . وجاء المقطع الثاني من الثلاثية باعتراضهم بصيغة الإستفهام ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ وهذا الإستفهام كما يقول الرازي " بمعنى الإنكار والهزء يجوز أن يكون في معنى المهزوء بهِ " [٦] ، في حين يرى ابن عاشور أنه استفهام " حقيقي لظنهم أنّ الأمر بذبح البقرة للإستبراء من دم قتيل كاللعب وتتخذنا بمعنى تجعلنا " [٧] ، وهذا الاستفهام يحتمل الوجهين . والله

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ٥٤٧ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١١٠ .
(٣) الكشاف : ١ / ٢٨٦ .
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي ، تصنيف : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : ١ / ١٣٧ .
(٥) تفسير الطبري : ٢ / ١٨٢ .
(٦) التفسير الكبير : ١ / ١١٣ .
(٧) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٤٩٥ .

أعلم . . والهزؤ اللعب والسخرية [١] . وأتى المقطع الثالث من هذا الحوار على لسان نبي الله موسى عليه السلام ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وهذه الآية تحتمل معنيين : **الأول** : " الإستعاذة من الجهل في أن يُخبر عن الله تعالى مستهزئاً ، **والآخر**: من الجهل كما جهلوا في قولهم﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ لمن يُخبرهم عن الله " [٢] . وفي قوله تعالى ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فيها تبرأ موسى بأن نفى أن يكون من الجاهلين كنايةً عن نفي المزح بنفي ملزومهِ لأنّ في الهزؤ مزحاً مع إستخفاف واحتقار للمزوح معه وهذا لا يليق بمقام الرسول [٣] . ولفظة ﴿ أَعُوذُ ﴾ فيها مبالغة عن التنزه " لأنّ العياذ بالله أبلغ كلمات النفي ، فإنّ المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلاّ الله تعالى وصيغة ﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أبلغ في إنتفاء الجهالة من أن لو قال أعوذ بالله أن أجهل " [٤] .

ويقول سيد قطب عن هذا المشهد الحواري معلقاً عليه لقد كان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للإستجابة والتنفيذ ، وإنّ نبيهم ينبئهم أنّ هذا ليس أمره ولا رؤية إنّما هو أمر الله : فماذا كان الجواب ؟ لقد كان جوابهم سفاهةً وسوء أدب ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ؟ ﴾ وكان ردّ موسى عليه السلام على هذهِ السفاه أنّ يستعيذ بالله عن طريق التعريض والتلميح ، وكان في هذا التوجيه كفاية ليثوبوا إلى أنفسهم ويرجعوا إلى ربهم وينفذّوا أمر نبيهم [٥] ، والثلاثية القرآنية تمثلت بين أمر نبي الله موسى عليه السلام لبني إسرائيل بذبح البقرة ، وإعتراضهم عليه ، ومن ثمَّ عياذهُ مما قالوهُ ، وهذه صورة أخرى تبين لنا إعتراضهم المتكرر لأوامر الله ، والغرض البلاغي في هذه الثلاثية هو لبيان ما لهم وما جرى لنبي الله موسى عليه السلام معهم .

---

(١) تفسير الطبري : ٢ / ١٨٢ .

(٢) المحرر الوجيز : ١ / ١٦٢ ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي : ١ / ٢٦٠ .

(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٥٤٨ .

(٤) م . ن .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ١٠١ .

٦ . قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الآية : ١٢٤] .

في هذه الآية الكريمة ذُكرت لفظة ﴿ قَالَ ﴾ ثلاث مرات ، فبرزت الثلاثية القرآنية من خلال حوار هادف بين الله ﷻ وابراهيم عليه السلام ، فبدأت الآية بقوله تعالى ﴿ وَإِذِ ﴾ والواو " إستئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتأسي بما جرى للماضين " [١] ﴿ وَإِذِ ﴾ معناها أو تقديرها أُذكر يا رسول الله للكفار ولأهل الكتاب ما حدث لنبي الله إبراهيم من إبتلاء الله له بالمناسك أو إبتلاه بذبح ولده ، وبالنار ، والكوكب ، والقمر ، والشمس [٢] . وقد قيل إنّ الله ابتلاه بكلمات " من الأوامر والتكاليف فأتمهن وفاءً وقضاءً " [٣] . وقد ورد في الآية لفظة ﴿ كَلِمَٰتٍ ﴾ والعلّة في ذلك . والله أعلم . لأنه ارتبطت بها أوامر هي : كلمات [٤] . وأمّا قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ " أي : يُقتدى بكَ في الخير ويأتمون بسنتك وهديك ، والإمام هو الذي يؤتم بهِ " [٥] . وقد حوت الآية وبثلاثيتها الفعلية العديد من الأوجه البلاغية ، فمطلع الثلاثية ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ ﴾ استئنافية " فإن قُلت : فما موقع ﴿ قَالَ ﴾ ؟ قلت : هو على الأول استئناف كأنه قيل : فماذا قال له ربهُ حين أتمّ الكلمات ؟ فقيل : قال إني جاعلك للناس إماماً " [٦] ، وإن جملة ﴿ قَالَ ﴾ " استئناف بياني أو تفسير للإبتلاء " [٧] . وأمّا جملة ﴿ قَالَ ﴾ الثانية ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ " عطف على الكاف

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١ / ١٦٧ .
(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١ / ١٦٥ . ١٦٦ .
(٣) في ظلال القرآن : ١ / ١٥٤ ؛ ينظر : تفسير سورة البقرة ، د . أمير عبد العزيز : ١٩٨ .
(٤) ينظر : التسهيل لتأويل التنزيل التفسير في سؤال وجواب : أبي عبد الله مصطفى بن العدوي : ٢ / ٢٥٨ .
(٥) تفسير الخازن : ١ / ١٣٩ .
(٦) الكشاف : ١ / ٣٠٩ .
(٧) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ١ / ٢٥٥ .

كأنه قال وجاعل بعض ذريتي ، كما يقال : سأكرمك فتقول وزيداً " [١] . ويمكن أن يكون في الآية محذوف " والتقدير : واجعل من ذريتي إماماً " [٢] ، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ إمّا أن تكون على جهة الادعاء والرغبة إلى الله أي التقدير : ومن ذريتي يا رب فاجعل . وقيل : هذا مِنهُ على جهة الإستفهام عنهم ، أي ومن ذريتي يا رب ماذا يكون حالهم ؟ " [٣] ، والدعاء والاستفهام كلاهما تحتملهُ لفظة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ والسياق في الثلاثية يؤكد ذلك . وفي قوله تعالى ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أي : لا يصيب ﴿ عَهْدِي ﴾ أي : نبوتي ، وقيل : معناها : لا ينال الإمامة الظالمين [٤] .

وقال ابن عباس " سأل ابراهيم أن يجعل من ذريتهِ إماماً فعلم الله ﷻ أن في ذريتهِ من يعصي فقال ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٥] ، وفي هذه الآية مجموعة من الفنون البلاغية وردت في الثلاثية ومنها الخبر في قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ ﴾ فإنّ الله يُخبر ابراهيم عليه السلام أنه جاعلهُ إماماً،والدعاء في قوله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ يمكن أن يكون إستفهاماً وفيهِ أيضاً الوعد . فإنّ الله وعد نبيه ابراهيم بأنْ يجعله إماماً وفيها وعيد في قوله تعالى ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ " فإنّ حاصل ذلك أنّ الظالمين من ذريتك لا ينالهم إستخلافي وحرمان ذلك غاية الوعيد " [٦] وهذه الآية الحوارية قد حوت فناً بلاغياً يُطلق عليه المراجعة . والمراجعة ماخوذة من " راجعه الكلام مُراجعة ورِجاعاً : حاوره إيّاهُ . وما ارْجَعَ إليه كلاماً أي ما أجابه " [٧] . وعند الزمخشري المراجعة الردّ حيث قال : " وراجعه في مهماتهِ وراجعه الكلام ورادّه " [٨] ، وذكر محيي الدين درويش أنّ المراجعة هي أن "

---

(١) الكشاف : ١ / ٣٠٩ .
(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١ / ١٦٨ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ١ / ٣٤٢ .
(٤) ينظر : تفسير الخازن : ١ / ١٣٩ .
(٥) إعراب القرآن : ١ / ٢١٠ .
(٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١ / ١٦٨ .
(٧) لسان العرب ، لابن منظور : ٤ / ٧٨ .
(٨) أساس البلاغة ، للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري : ١٥٦ .

يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينهُ وبين محاورٍ في الحديث ، أو بين إثنين غيرهُ بأوجز عبارة ، وأبلغ إشارة ، وأرشق مُحاورة مع عذوبة اللفظ وجزالتهِ وسهولة السبك " [1].والغرض البلاغي في الثلاثية هو التأسي بنبي الله إبراهيم عليه السلام .

٧ . قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الآية : ٢٥٠] .

هذه الثلاثية الفعلية جاءت بصيغة الدعاء ، وهي متمثلة في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ، وقد أخبر الله تعالى عن حال المؤمنين حينما برزوا لجالوت وجنودهِ ، فهي صورة لمشهد بين طائفتين، المؤمنون من جانب وأعداء الله من جانب آخر ، إذ رأوا ما هم عليه من العدد والعدة وأيقنوا أنهم غير قادرين عليهم [2] ، فدعوا الله وقالوا : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ . فمطلع هذه الثلاثية القرآنية قولهم ﴿ رَبَّنَآ ﴾ وهذه اللفظة تدل على التلطف والتقرب والتذلل إلى الله وفيها أيضاً " التوسل بوصف الربوبية المُنبئة على التبليغ إلى الكمال " [3] ، ولفظة ﴿ أَفۡرِغۡ ﴾ دالّة على الكثرة ، ومعناها : الصب [4] وهي للمبالغة . ولفظة ﴿ عَلَيۡنَا ﴾ تفيد التخصيص ، إنّ ﴿ صَبۡرٗا ﴾ وردت بصيغة التنكير الدّالة على التفخيم . وقوله تعالى ﴿ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ يدل على المبالغة في طلب الصبر من وجهين ، **الأول** : للتأكيد حيث إنه إذا صب الشيء في الشيء فقد استقر فيهِ بحيث لا يزول عنه ، **والثاني** : لإفراغ الإناء وهو إخلاؤه ، وذلك بصبهِ كُله [5] . وفي هذا الجزء من الثلاثية إستعارة تمثيلية في قوله تعالى ﴿ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ فقد شُبّه حالهم والله سبحانه يفيض عليهم الصبر كحال الماء يُفرغ على الجسم

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١ / ١٦٨ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ٣٧٨ .
(٣) م . ن : ١ / ٣٧٨ ؛ روح المعاني : ٢ / ١٧٢ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٦ / ١٦٧ ؛ تفسير الخازن : ١ / ٣٣٦ .
(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٦ / ١٦٧ .

فيشمله كُله خارجه وداخله فيلقي في القلب راحةً وإطمئناناً وسكينةً [١] . وجاء الأمر الثاني المجازي ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ بصيغة الدعاء والطلب من الله ﷻ بتثبيت الأقدام فهو " يُرشح جعل الصبر بمنزلة الماء في الطلب الأول ، إذ مصاب الماء مزالق فيحتاج فيها إلى التثبيت " [٢] ، والتثبيت يعني كمال الرسوخ والقوة في ساحات الوغى ، وتثبيت الأقدام كنايةً عن تشجيع قلوبهم وتقويتها أثناء القتال [٣] ، وختمت الثلاثية القرآنية بسؤال الله ﷻ بالنصرة على الكافرين . وقد ورد حرف العطف (الواو) في الثلاثية في موضعين ، **الأول** : مع تثبيت الأقدام ، **والثاني** : بطلب النصر من الله ، وهو يُشعر بالترابط بين تثبيت الأقدام ونتيجة ذلك ، وهي النصرة . وهو الهدف الأسمى لهم ، وفي هذه الثلاثية ترتيب بديع وترابط في الدعاء إذ قدّموا توسلهم بإفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر ثم السؤال بتثبيت الأقدام المتفرع عليهِ وبعد ذلك سؤال النصر الذي هو الهدف الأقصى [٤] ، والغرض البلاغي الوارد في هذه الثلاثية بصيغة الدعاء يفيد التأسي بالمؤمنين الذين كانوا في ذلك الزمان .

المبحث الثاني

الثلاثيات الأسمية الواردة في السورة

يتناول هذا المبحث الآيات الثلاثية الأسمية التي لها إرتباط مع بعضها البعض من حيث المعنى ، ومن الأمثلة على ذلك :

١ . قال تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الآية : ٧] .

وردت ثلاثة أمور مُترابطة وهي القلوب ، والأسماع ، ثم الأبصار ، فجاءت مرتبطة مع معنى الختم من الله . فكوّنت ثلاثية قرآنية محسوسة الجامع بينها هو الختم والغشاوة . والختم معناه : التغطية . يقول القرطبي (ت ٦٧١ هـ) الختم : مصدر ختمت الشيء

(١) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ١٥٩ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ٤١١ .
(٢) روح المعاني : ٢ / ١٧٢ .
(٣) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ٤١١ .
(٤) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ٣٧٨ .

ختماً فهو مختوم ومختمَّ ، شدد للمبالغة ومعناها : التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء [١] . ولا يجوز أن يفهم أنّ الختم من الله على قلوب ، وأسماع الكفار ، والغشاوة على أبصارهم هو قهر أو ظلم لهم وإنّما معناه : أنه تعالى لمّا خلقهم وسوّاهم وأعانهم بالقول ، والحواس ، والمشاعر ، ثُمَّ أيّد عقولهم بإرسال الرسول ، وأنزل الكتاب ، وتبليغ كل حكم من الأحكام فلم يسمعوا، ولم يستجيبوا ولم يؤمنوا، وقابلوا تلك النعمة العظيمة بالكفران والتكذيب ، والإستكبار ومعاندة الرسول بكل ما لديهم من قوة وطاقة [٢] لعدم إنتفاعهم من هذه الحواس ، وكان الجزاء من جنس العمل وهو الختم من الله . وقوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ إخبار من الله عن تكبرهم ، وعنادهم ، وإعراضهم عن الاستماع لمّا دعوا إليه من الحق والصواب وما فيه صلاحهم [٣] ، وهذه الصورة البلاغية المعبرة عن حال الكافرين في الدنيا ، ويوم القيامة لهم مشهد آخر وهو العذاب العظيم ، وكِلتا الصورتين مشهد مُفزع ومخيف بما اقترفوهُ بسبب بعدهم عن الله ﷻ ، لذا كان الجزاء من جنس العمل بختم قلوبهم ، وقد " قَدّم الله القلوب على السمع والأبصار لأنهم إختاروا الكفر " [٤] . وهناك علّة أخرى في تقديم القلوب على السمع ، وذلك للإيحاء بأنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأنّ ختمها ليس بطريق التبعية [٥].وفي الآية تقديم الخبر ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ على ﴿ غِشَٰوَةٌ ﴾ " وفيه مطابقة للجملة قبله ، لأنه تقدم الجزء المختوم بهِ فيها ، ففي الآية جملتان خبريتان : فعلية دالّة على التجدد وأسمية دالّة على الثبوت حتى كأنّ الغشاوة جبلّة فيهم ، وفي تقديم الجملة الفعلية إشارة إلى أنّ ذلك قد وقع وفرغ منه " [٦] . وفي هذه الثلاثية قُدِّمَ السمع على البصر ، لأنّ حاسة السمع أكثر أهمية من حاسة البصر .

---

(١) ينظر : الجامع لاحكام القرآن : ١ / ٢٨٤ .
(٢) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١ / ٩٩ .
(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١ / ٢٦٠ ؛ تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤٦ .
(٤) زبدة التفاسير : ١٢ .
(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ٣٨ .
(٦) روح المعاني : ١ / ١٣٦ .

والقرآن مُعجز بكل ما فيهِ ، والعلّة في ذلك لأنّ التقديم مؤذن بأهمية المُقدّم وذلك لأنّ السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل والفهم ، وهي وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى إفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع ، ولأنّ السمع تصل إليه الأصوات المسموعة من الجهات الأخرى بدون توجه إليها ، بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالإلتفات إلى الجهات الأخرى غير المقابلة [١] ، والسمع جاء بصيغة المفرد " لأنه مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع " [٢] . وقد تساءل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) عن قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ لِمَ لَمْ يقل وعلى أسماعهم ؟ وقد قال تعالى ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ فذكر لهذا التساؤل ثلاثة أجوبة ، **الأول** : " أنّ السمع مصدر فلم يجمع ، **والثاني** : هو واحد يؤدي عن الجميع ، **والثالث** : أنّ التقدير على موضع سمعهم " [٣] . وفي الآية مجاز بالاستعارة وتشبيه في قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ لأنّ حقيقة الختم ، وضع المحسوس على محسوس يكون دلالة على الختم ، والختم هنا معنوي ، فإنّ القلب لمّا يَقْبَلِ الحق مع ظهوره ، أُستعير له أسم المختوم عليه على هيئة الإستعارة التصريحية التبعية ، وقيل : في إسناد الختم إلى القلوب إستعارة تمثيلية ، فقد شبهت قلوبهم في إعراضها عن الحق وعدم الإصغاء ، بحال قلوب ختم الله عليها فهي كقلوب البهائم ، وهو تشبيه معقول بمحسوس [٤] .

" وفي الآية الكريمة تقديم آخر في قوله تعالى ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ حيثُ قُدِّمَ الخبر ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ على ﴿ غِشَٰوَةٌ ﴾ ، وجاءت لفظة ﴿ غِشَٰوَةٌ ﴾ بصيغة التنكير ، والغاية من ذلك هي للتفخيم والتهويل " [٥] . وفي لفظتي ﴿ خَتَمَ ﴾ و ﴿ غِشَٰوَةٌ ﴾ " مجاز مرسل بعلاقة اللزوم المُراد إتصافهم بلازم ذلك وهو أنْ لا تعقل ولا تحس " [٦] . وقد

---

(١) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٢٥٨ .
(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١ / ٨٥ .
(٣) إعراب القرآن : ١ / ١٣٦ ؛ ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ١ / ٢٨ .
(٤) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ١٥٥ .
(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه : ١ / ٤٥ .
(٦) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٢٥٥ .

خُتمت الآية بقوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ إذ إنّ العذاب جاء مُنكراً ، وفي ذلك إشارة إلى أنه نوع منهُ مجهول المعالم مثل الكم والكيف [١] ، وقد وصف العذاب بكونه عظيماً ، " لتأكيد ما يفيد التنكير مثل التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك أي لهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنههُ ولا تدرك غايته " [٢] ، والجامع في هذه الثلاثية أو العلاقة أو الترابط هو أنّ الختم على قلوبهم التي هي مصدر العلم والفهم والإدراك ، وعلى أسماعهم التي تؤدي للقلوب وجعل أبصارهم لا تهتدي للاعتبار والتدبر فصارت كأنّ عليها غشاوة أي حاجز بينها وبين الرؤية [٣] ، والغرض من هذه الثلاثية هو لبيان حال هؤلاء الكفار .

٢ . قال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية : ١٨] .

في هذه الثلاثية القرآنية وصف حال المنافقين ، وأنّهم لا يسمعون ، ولا ينطقون ، ولا يبصرون ، فهي مترابطة ، وكل وصف له علاقة بالوصف الآخر ، وهذا حال من اشترى الضلالة بدل الهُدى ، فقد جاءت هذهِ الأوصاف عنهم مُعبرة مؤثرة رادعة فهم كالصم والبكم والعمي ، فهو مشهد مصوّر منظور عن حالهم، ومع ذلك فهم لا يرجعون عن غيهم ، وظلمهم وهذا دلالة على العتو ، والإسكتبار ، والطغيان ، وإنّ الجامع في هذه الثلاثية هو أنّ معنى : " صممهم ، وبكمهم ، وعماهم ، هو عدم إنتفاعهم بإسماعهم وقلوبهم وأبصارهم " [٤] والأصم هو الذي لا يسمع ، والأبكم الذي لا ينطق ولا يفهم ، فإذا فَهِمَ فهو الأخرس ، وقيل الأبكم والأخرس واحد ، وقد وصفوا في هذه الثُلاثية القرآنية بهذهِ الصفات الثلاث ، لأنّ " أعمالهم من الخطأ والقلّة كأعمال من هذهِ صفتهِ " [٥] ، وفي هذهِ الثلاثية تشبيه بليغ في قوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ أي هم كالصم البكم العمي في عدم الإستفادة من هذهِ الحواس ، وقد حذفت أداة التشبيه ووجه المشبه فأصبح بليغاً

(١) ينظر : إعراب القرآن وبيانه : ١ / ٤٣ .
(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه : ١ / ٤٥ .
(٣) ينظر : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم : ١ / ٤٧ .
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ١ / ٦٠ .
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١ / ١٠٠ . ١٠١ .

(١) . وفي قوله تعالى ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال : **أحدها** : لا يرجعون عن ضلالتهم ، **والآخر** : لا يعودون إلى دين الإسلام ، **والثالث** : لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمي ، وإنما أضاف الرجوع إليهم لأنهم إنصرفوا بإرادتهم ، لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات الصفح (٢) ، وفي الآية ثلاثة تقديرات ، **الأول** : مع صم أي : هم صم ، **والثانية** : مع بكم ، أي : هم بكم ، **والثالثة** : مع عمي، أي : هم عمي ، وهذا الحذف جاء بالإيجاز، وتوالي الألفاظ الثلاثة ليدل على ما هم عليه من الضلال . والغرض البلاغي في هذه الثلاثية هو لبيان حال المنافقين من خلال تشبيه حال إعراضهم عن الإيمان بالصم والبكم والعمي .

٣ . قال تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [الآية : ١٩] .

هذه الثلاثية تصف حال المنافقين فحالهم كالمطر الذي فيه ظلمات ورعد وبرق ، والظلمات هي : " الشكوك والكفر والنفاق " (٣) قال الطبري " ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى (الواو) (٤) والتقدير : (وكصيب) ، أما القرطبي فيرى أنّ ﴿ أَوْ ﴾ للتخير أي أنّ حالهم إمّا مُشَبَّه كما في الثلاثية السابقة ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ أو ﴿ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ (٥) . ولفظة ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ لها خمسة معانٍ ، **الأول** : الشك ، **والثاني** : الإيهام ، **والثالث** : التحقير ، **والرابع** : الإباحة ، **والخامس** : التفصيل (٦) ، وهذا المشهد تمثيل لحالهم أثر تمثيل ليعم البيان فإنّ تفننهم في فنون الكفر ، والفساد ، والضلال ، وتحولهم فيها من

(١) صفوة التفاسير : ١ / ٣٩ ؛ ينظر : المقتطف في عيون التفاسير : ١ / ٤٤ ؛ ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٢٢٠ .
(٢) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ١ / ٤١ .
(٣) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٥٤ .
(٤) تفسير الطبري الجامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ٣٣٧ .
(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٣٢٦ .
(٦) ينظر : تفسير البحر المحيط : ١ / ٢١٨ .

حال إلى حال حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال [١] وإنّ لفظة صيّب أبلغ من صائب " والتنكير فيه للتنويع والتعظيم [٢] ومعنى ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ ﴾ أي : " كأصحاب صيب فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه " [٣] .

وجاءت لفظة ﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ مُعرفة لنفي أن يتصوب من سماء ، أي : من أُفق واحد من بين سائر الآفاق ، لأنّ كل أُفَق من آفاقها سماء ، والمعنى : أنه غيم مُطبق آخذ بآفاق السماء . كما جاء بلفظة (**صيِّب**) وفيه مُبالغات من جهة التركيب والبناء [٤] . وقد جاءت ﴿ ٱلظُّلُمَٰتٞ ﴾ بصيغة الجمع ، وهي إشارة إلى ظلمة الليل ، وظلمة الغيم حيث يتراكب ويتزايد ، وجُمعت ﴿ ٱلظُّلُمَٰتٞ ﴾ لتعددها في الواقع فهي " ظلمة الكفر ، وظلمة النفاق ، وظلمة سخط الله تعالى ، وظلمة عقابه السرمدي أي وتركهم في ظلمات حالكة لا يبصرون ما حولهم مُتحيرين " [٥] . أمّا (الرعد) و (البرق) فجاءا بصيغة الإفراد . وظاهر الكلام وسياقهِ يستوجبان جمعهما كما جَمَعَ الظلمات ، ولأنّ الجمع أبلغ من الإفراد ، وقد جنح القرآن إلى الإفراد لأنّ البرق والرعد لمّا كانا في الأصل مصدرين والمصادر لا تجمع [٦] ، فلذلك وردتا في الآية الكريمة بصيغة الإفراد . وأمّا قوله تعالى ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ ﴾ ، فقد وردت لفظة أصابعهم بصيغة الجمع لدهشتهم ، وحيرتهم وانفعالهم ، وشدة تأثرهم فأية أصبع لهم سدّوا بها آذانهم فعلوا من غير اختيار مُتعمد . وهنا وقفة بلاغية وهي مجاز مرسل حيث أطلق الأصابع وأراد رؤوسها ، فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء ، لأنّ إدخال الأصابع كلها في الأذان مستحيل [٧] ، وهذه الثلاثية القرآنية التي تُصور حال المنافقين في تخبطهم ورد في مطلعها تشبيه حيث " شبّه الهُدى الذي هدى بهِ عباده

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ٥٢ .
(٢) روح المعاني : ١ / ١٧١ .
(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١ / ٩٦ .
(٤) ينظر : الكشاف : ١ / ٢١٤ .
(٥) المقتطف في عيون التفاسير : ١ / ٤٤ .
(٦) ينظر : إعراب القرآن وبيانه : ١ / ٦٢ .
(٧) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٢٢٠ .

بالصيب وشبّه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلاّ الظلمات والرعد والبرق " [١] ، وهذا التشبيه تمثيلي لأنه " منتزع من أمور متعددة حيث شبّه الإسلام بالمطر ، لأنّ القلوب تحيا بهِ ، كحياة الأرض بالمطر ، وشبّه شبهات الكفار بالظلمات ، وما في القرآن من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الفتن والبلايا بالصواعق " [٢] ، وهذا الوصف للمنافقين أو التشبيه لهم يتناسب ويتوافق مع حالهم في عتمة الضلال لأنهم آثروا شراء الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وذاقو وبال أمرهم . والغرض البلاغي من هذه الثلاثية الوعيد لهؤلاء المنافقين .

٤ . قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الآية : ٦٦] .

وهذا إخبار من الله ﷻ أيضاً عن حال اليهود الذين اعتدوا في السبت وكأنها مشهد يصور حالهم بعد مُخالفة أمر الله ، وهو موعظة ، ودرس لهم ، ولمن جاء بعدهم من الأمم من خلال هذهِ الثلاثية ، والضمير في قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ عائد إمّا أنّه الخطيئة أو العقوبة أو القرية والمراد أهلها أو الأمة التي مُسخت ، وقد يشمل هذهِ الأقوال أو بعضها [٣] . وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا ﴾ فالنكل والإنكال قيود الحديد [٤] ، والنكال له معانٍ منها : (التخويف) [٥] والعقوبة والعبرة [٦] والإشهار بالفضيحة [٧] و﴿ نَكَالًا ﴾ " عِبرة تُنكِل من اعتبر بها ، أي : تمنعه " [٨] ، وهذه العبرة ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا

(١) بدائع التفسير الجامع لما فسّره الإمام ابن القيم الجوزية : ١ / ١٠١ .
(٢) تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٢١٩ . ٢٢٠ .
(٣) ينظر : زاد المسير : ١ / ٩٥ ؛ المحرر الوجيز : ١ / ١٦١ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ١ / ١٦١ .
(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي : ١ / ٤١٥ .
(٦) زاد المسير : ١ / ٩٥ .
(٧) النكت والعيون . تفسير الماوردي : ١ / ١٣٦ .
(٨) الكشاف : ١ / ٢٨٦ ؛ تفسير أبي السعود : ١ / ١١٠ .

﴿ خَلْفَهَا ﴾ أي : جعلنا مسخهم قردةٍ عِبرة " لمن شهدها وعاينها وعِبرة لمن جاء بعدها ولم يشاهدها " (١) .

وقيل أنّ معنى ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ أي : " من ذنوب القوم ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ لمن يذنب بعدها مثال تلك الذنوب ، و ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ أي : من حضروها من الناجين ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أي : لمن يجئ بعدها " (٢) . وذكر ابن الجوزي في هذا المقطع ثلاثة أقوال وهي ، **أحدها** : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ من القرى ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ من القرى ، **والثاني** : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ من الذنوب ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ ما عملوا بعدها من الذنوب ، **والثالث** : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ من السنين التي عملوا فيها بالمعاصي ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ ما كان بعدهم من بني إسرائيل لئلا يعملوا بمثل أعمالهم ومعاصيهم (٣) . وفي قوله تعالى ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ إستعارة " لأنه أُستعير فيهِ ما بين يديها للزمان الماضي وما خلفها للمستقبل " (٤) . وهي أيضاً كناية عمّن كان قبلها أو جاء بعدها من الأمم والخلائق ، أو عظة لمن تقدم ومن تأخر (٥) .

وختمت الثلاثية بقوله تعالى ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وجاء هذا التخصيص لهم لأنهم الذين يستفيدون من العظة والتذكير (٦) ، وقد أُضيفت الموعظة للمتقين على " معنى أنهم يتعظون بها " (٧) ، وقد يكون معنى المتقين عاماً في كل مُتقي إلى يوم القيامة ، وقد يكون المُراد بهم من أُمة محمد ﷺ (٨) . والظاهر أنّ المعنى كل مُتقٍ لأنه أبلغ وأشمل .

---

(١) صفوة التفاسير : ١ / ٦٥ .
(٢) المحرر الوجيز : ١ / ١٦١ .
(٣) ينظر : زاد المسير : ١ / ٩٥ .
(٤) روح المعاني : ١ / ٤٨٠ .
(٥) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٦٥ .
(٦) ينظر : روح المعاني : ١ / ٤٦٦ ؛ البحر المحيط : ١ / ٤١٠ .
(٧) التفسير الكبير : ٣ / ١٠٩ .
(٨) ينظر : زاد المسير : ١ / ٩٥ .

والجامع في هذه الثلاثية جاء بحرف العطف الواو الذي شمل الأزمان الماضي والمستقبل والرابط بينهما العظة والعبرة ، والغرض البلاغي في هذه الثلاثية هو العظة والاعتبار منهم .

٥ . قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [الآية : ١٥٧] .

هذهِ الثلاثية القرآنية جاءت بِشارة للصابرين فحالهم عند المصيبة يتمثل بقولهم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، فكانت النتيجة الأولى لصبرهم بأنّ عليهم صلوات من ربهم ، أي : مغفرة بعد مغفرة ، والبشارة الثانية لهم : الرحمة من الله، وتلتها البشارة الثالثة: بأنهم هم المهتدون ، فشكلت الثلاثية صورة للعطاء الإلهي لهم . فمطلع الثلاثية جاء بإسم الإشارة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الدال على التنبيه على أنّ المشار إليه هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة ومعنى البعد فيهِ للإيذان بعلو رتبتهم [١]. وقد جاء بعد اسم الإشارة الجار والمجرور وهو بلفظة ﴿عَلَيۡهِمۡ ﴾وهي أبلغ من اللام ، لأنّ لفظة عليهم تدل على أنهم منغمسون بالصلوات والرحمة [٢] ، ولفظة الصلاة معناها الدعاء، وقد وردت بصيغة الجمع والمعنى أي صلاة بعد صلاة ، ومغفرة بعد مغفرة وهي للتنبيه على كثرتها وتنوعها وفيهِ أنه مجيء الجمع لمجرد التكرار [٣] .

وقال الراغب : الصلاة هي الأداء وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تزكيتهُ إياهم ومن الملائكة هي دعاء واستغفار [٤].ولفظة ﴿مِّن ﴾ إما أن تكون تبعيضية وإمّا ليدل بـ ﴿مِّن ﴾ على " ابتدائها من الله ، إذ تنشأ تلك الصلوات وتبتدئ عن الله تعالى " [٥] ، وجاء لفظة الربوبية مقترنة بالضمير ﴿هُمُ ﴾ العائد إليهم لإظهار مزيد العناية واللطف

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٨٠ ؛ تفسيير التحرير والتنوير : ٢ / ٥٧ ؛ التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد السيد طنطاوي : ١ / ٣١٧ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ٢ / ٢٤ .

(٣) ينظر : تفسير الخازن : ١٧١/١؛ روح المعاني : ٢٤/٢ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ٥٦/٣ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : ٢٨٥ .

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ٥٦ .

بهم ، ولما فيه من دلالة التربية والنظر للعبد فبما له بهِ مصلحة ونفع [١] . وأما البشارة الثانية فهي الرحمة للصابرين ، وقد جاءت الرحمة بصيغة " مفردة على أصل المصادر وهو الإفراد " [٢] ، وقد ذكرت الرحمة بعد الصلاة ، لأنّ الصلاة من الله الرحمة " لإتساع المعنى و إتساع اللفظ وتفعل العرب ذلك كثيراً ، إذا إختلف اللفظ وإتفق ، وقيل كررها للتأكيد . أي : عليهم رحمة بعد رحمة " [٣] . والصلاة بمعنى : الرحمة والمغفرة مجازاً ، ولذلك عطفت عليها الرحمة التي هي من معاني الصلاة [٤] . وقد جاءت لفظة الصلوات بصيغة الجمع " مراعاةً لكثرة ما يترتب عليها من أنواع الخيرات في الدنيا والآخرة وعطف سبحانه الرحمة على الصلوات ليدل على أنّ بعد ذلك الإقبال منه على عباده إنعاماً واسعاً وعطاءً جزيلاً في الدنيا والآخرة " [٥]،والجمع بين الصلوات والرحمة للمبالغة [٦]وكلاهما مُنوّن وهو للتفخيم[٧].

وختمت الثلاثية بقوله تعالى ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ وهذهِ البشارة الثالثة لهم ، ومطلعها اسم الإشارة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ حالها حال مطلع الثلاثية ، وهذا التكرير لإظهار كمال العناية بهم ، ﴿ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ فيه قصر الصفة على الموصوف أي لا مهتدي غيرهم [٨] . وقد أكد بقوله تعالى ﴿ هُمُ ﴾ والألف واللام في المهتدين لإفادة الحصر كأنّ الهداية انحصرت فيهم .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٨١؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د . وهبة بن مصطفى الزحيلي : ٣٨/٢ ؛ صفوة التفاسير : ١٠٧/١ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ /٥٦ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١ / ٣١٨ .

(٣) تفسير الخازن : ١ / ١٧١ .

(٤) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢ / ٥٧ .

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١ / ٣١٧ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٨١ .

(٧) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٨١ ؛ صفوة التفاسير : ١ / ١٠٧ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ٥٦ .

(٨) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ١٠٧ ؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٢ / ٣٨ .

" وأتى بإسم الفاعل ﴿ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ ليدل على الثبوت ، لأنّ الهداية ليست من الأفعال المتجددة وقتاً بعد وقت فيخبر عنها بالفعل ، بل هي وصف ثابت " [١] . وفي الثلاثية ملحظ بلاغي آخر في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فإذا كانت مِن تبعيضية فيكون هناك ثمت حذف أي : " صلوات من صلوات ربهم " [٢]. فهذه الثلاثية بشارة للصابرين من الله ﷻ ومن أصدق مِن الله قيلاً . والغرض البلاغي في الآية هو لتخصيص هذا الأجر والثواب من الله للصابرين .

المبحث الثالث

الثلاثيات الإسمية والفعلية الواردة في السورة

تناول هذا المبحث ثلاثيات قرآنية اسمية وفعلية ، فقد تكون قد ارتبطت جملة اسمية مع جملتين فعليتين ، أو قد يكون العكس . وهذا المبحث ضمَّ أكثر الأمثلة الواردة في السورة ، ومن تلك الشواهد :

١ . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [الآية : ٤] .

فهذه الآية جاءت بمعانٍ مكملة لوصف المتقين في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . وهذه الصفات الثلاث تلتها ثلاث صفات أخرى للمتقين ، فالصفة الأولى لهم في هذهِ الآية : أنّهم يؤمنون بالقرآن الكريم ، وهو المُنزل على النبي ﷺ ، والصفة الثانية : أنّهم يؤمنون بما أُنزل من قبلك ، والمقصود الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى ، والصفة الثالثة في هذه الثلاثية : أنهم يؤمنون بالبعث والنشور بعد الممات ، وقد حوت هذه الثلاثية القرآنية العديد من الوقفات البلاغية مِنها : التكرار والحذف والإستعارة والتشبيه ، وقد بدأت الآية القرآنية بإسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ والمُراد بهِ كل من حصل الفضائل الثلاث وهي : الإيمان بالكتب

(١) تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ٥٧ .
(٢) م . ن : ٣ / ٥٦ .

السابقة ، والإيمان بالقرآن الكريم ، والآخرة حق الإيمان [١] . وفي لفظة ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ التي وردت بصيغة المضارع أفادت التجدد ، لأنّ إيمانهم بالقرآن الكريم حدث جديداً وهذا كلّه تخصيص لهم بمزية يجب إعتبارها [٢] . وفي لفظة ﴿ أُنزِلَ ﴾ الواردة بصيغة الماضي " تشبيه جميع المُنزل بشيء نزل في تحقق الوقوع ، لأنّ بعضه نزلَ وبعضه سينزل قطعاً ، فيصير إنزال مجموع مُشبهاً بإنزال ذلك الشيء الذي نَزلَ فتستعار صيغة الماضي في إنزالهِ لإنزال المجموع " [٣] . وأمّا سبب ورودهِ بصيغة الماضي وذلك " لتغليب المحقَّق على المتَرقَب نزولهِ ، أو لتنزله ما فيهِ شرف الوقوع لتحققهِ منزلة الواقع " [٤] ، وفي الآية حذف في قولهِ ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي : من القرآن ، وحذف آخر في قوله ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي : من قبل إرسالك أو قبل الإنزال إليك ، وهناك حذف ثالث في نهاية الآية في قوله تعالى ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ ﴾ أي : بجزاء الآخرة هم يوقنون [٥] وهناك تكرار في لفظتي ﴿ بِمَآ أُنزِلَ ﴾ و ﴿ وَمَآ أُنزِلَ ﴾ وفي هذه الآية تكرار في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ مع الآية التي سبقتها والتي بدأت بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ " وإنْ كان الموصوف واحداً وقد يكون الموصوف مُختلفاً فهو تكرار للفظ دون المعنى وفائدة التكرار الترسيخ في الذهن والتأثير في العاطفة " [٦] .

وفي الآية مُغايرة بين قوله تعالى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ وبين ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ حيث " غاير سبحانه بين الإيمان بالمُنزل والإيمان بالآخرة ، فلم يقل وبالآخرةِ هم يؤمنون دفعاً لكلفة التكرار " [٧] . وفي قوله تعالى ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ تقديم الجار والمجرور على الفعل

---

(١) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١ / ٩٦ .
(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٢٣٨ .
(٣) روح المعاني : ١ / ١٢١ .
(٤) تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ١٣٤ .
(٥) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ١٣٣ .
(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ١ / ٣٧ ؛ إعراب القرآن وبيانه : ١ / ٤١ .
(٧) روح المعاني : ١ / ١٢٢ .

﴿ يُوقِنُونَ ﴾ للإهتمام ، أو لإفادة الحصر ، أو لرعاية الفاصلة [١] ، وقد قدّم المسند إليهِ ﴿ هُمْ ﴾ على المسند الفعلي ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ " لإفادة تقوية الخبر إذ هو إيقان ثابت عندهم من قبل مجيء الإسلام على الإجمال " [٢]. واليقين هو أعلى وأسمى درجات العلم والفهم وهو الذي لا يمكن أن يدخلهُ شك أو التباس [٣]. وقد تقدمت لفظة الآخرة على اليقين وسميت بذلك " لأنّ الدنيا تقدمتها وقيل سميت آخره لأنها نهاية الأمرُ ً " [٤] . وفي قوله تعالى ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ " تخصيص بعد التعميم ، لأنّ الإيقان بالآخرة داخل في قوله ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [٥] . وقد حوت هذه الآية فنّاً بلاغياً آخر ، وهو التقسيم . ومعناه : " استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه " [٦] . والغرض البلاغي في هذه الثلاثية هو لبيان حال هؤلاء المتقين بأنهم يؤمنون بما أنزل إلى النبي (**عليه الصلاة والسلام**) ، وما أُنزل إلى الأنبياء من قبلهِ ويوقنون بالآخرة فأولئك المتقون جزاؤهم الجنة .

٢ . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية : ٤٢] .

وردَ في الآية نهيان ، **الأول** : خلط الحق بالباطل ، **والثاني** : النهي عن كتمه ، ثم جاءت نهاية الثلاثية إنكاراً عليهم . والمعنى " لاتخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أنّ دين الله الإسلام [٧] ، واللبس في اللغة هو الالتباس ولابَسْتُ الأمر إذا زاولته ولابَسْتُ فُلاناً خَالَطته [٨] . واللبس هو المزج

(١) ينظر : تفسيير حدائق الروح والريحان : ١ / ١١٩ ؛ تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٢٤٠ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٢٤١ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ١ / ٨٦ .
(٤) زاد المسير : ١ / ٢٦ .
(٥) التفسير الوسيط : ٢ / ٨٠ .
(٦) علم البديع : ١٠٤ .
(٧) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٨٤ .
(٨) المفردات في غريب القرآن : ٤٤٧ .

وخلط حقِّهِ بِباطلِهِ [١] . وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ معانٍ منها ، أي : ولا تلبسوا الصدق بالكذب ، ولا الأمانة بالخيانة ، ولا اليهودية والنصرانية بالإسلام ، ولا التوراة بما كتبوه بأيديهم ، ولا بما بدّلوا فيها من ذكر محمد ﷺ ، ولا الإقرار بنبوة محمد ﷺ إلى غيرهم وجحدهم أنه ما بعث إليهم ، ولا إيمان منافقي اليهود بإبطان كفرهم ولا صفة النبي ﷺ بصفة الدجّال ، فكأنهم نُهوا عن أن يخلطوا الحق فلا يتميز الحق من الباطل [٢] ولا تلبسوا " من التلبيس ، والتدليس والغش الذي يكون باطنه خلاف ظاهره ، فكذلك الحق إذا لبُس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق " [٣] ، وهذا النهي الوارد في هذه الثلاثية إنّما هو " تحذير من الله لهم من أن يلبسوا أو يخلطوا الحق بالباطل حتى يشتبه على عوام الناس " [٤] ، والمقصود بـ ﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ هو محمد ﷺ أو القرآن أو دين الإسلام " [٥]. وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ فالباطل هو نقيض الحق ويقال ﴿ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ هو" الذاهب الزائل ، يقال : بَطل الشيء يبطل بُطولاً وبُطلاناً، و(البُطل) أيضاً مثل الباطل، وأبطل الشيء جعله باطلاً وأبطل فلان جاء بالكذب وأدعى باطلاً " [٦].

وقد تساءل الطبري " فإن قال قائل : وكيف يلبسون الحق بالباطل وهم كفار؟وأي حق كانوا عليهِ مع كفرهم بالله ؟ قيل : إنه كان فيهم منافقون يظهرون التصديق بمحمد ﷺ ويستبطنون الكفر بهِ وكان أعظمهم يقولون : محمد نبي مبعوث ، إلاّ أنه مبعوث إلى غيرنا " [٧] ، فالحق أنهم يعلمون أنّ محمداً ﷺ نبي وأمّا الباطل فإنهم يقولون أنّ محمداً ﷺ مبعوث إلى غيرنا ، والحقيقة خلاف ذلك فقد أرسله الله إلى الناسِ كافة بشيراً ونذيراً . والنهي الثاني الوارد في الآية هو نهي عن كتمان الحق والمعنى أي : لا تخفوا ما في

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ١٩ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ١ / ٣٣٤ .
(٣) بدائع التفسير الجامع لما فسّره الإمام ابن القيم الجوزية : ١ / ١٢٤ .
(٤) صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم : ١ / ١١٨ .
(٥) مواهب الرحمن : ١ / ١٦٥ .
(٦) لسان العرب : ١ / ٤٤٣ . ٤٤٤ .
(٧) تفسير الطبري الجامع البيان : ١ / ٥٦٧ . ٥٦٨ .

كتابكم من أوصاف محمد ﷺ [١] . " والمُراد النهي عن كتم حجج الله التي أوجب عليهم تبليغها وأخذ عليهم بيانها " [٢]. ولقد ورد في الآية الكريمة نهيان " **فالنهي الأول** : عن التغيير والنهي ، **الثاني** : عن الكتمان " [٣] . وقد تكررت لفظة ﴿ **ٱلْحَقَّ** ﴾ في هذه الثلاثية مرتين ، إمّا لأنّ المراد بالأخير ليس عين الأول ، بل هو نعت النبي ﷺ الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره ، وإمّا لزيادة تقبيح المنهي عنه ، إذ في التصريح بإسم الحق ما ليس في ضميره ، وسمي هذا أيضاً إطناب [٤] . وفي قوله تعالى ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ستة أقوال ، **الأول أي** : ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ أنه مذكور هو وصفته في التوراة ، **الثاني** : تعلمون البعث والجزاء ، **والثالث** : ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ أنه نبي مُرسل للناس قاطبةً ، **والرابع** : ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ الحق من الباطل ، **والخامس** : ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون، **والسادس** : ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ : جملة في موضع الحال ولم يشهد تعالى لهم بعلم [٥] . والظاهر أنّ هذهِ الأقوال تنطبق على حالهم " وفيه أنّ كفرهم كُفر عناد ، لا كفر جهل ، وذلك أغلظ لذنب وأوجب للعقوبة " [٦] ، وهذا المقطع من الثلاثية ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ جملة حالية " وهو أبلغ في النهي ، لأنّ صدور ذلك من العالم أشد " [٧] وفيها أيضاً حذف أي وأنتم من ذوي العلم ، والحذف للاختصار ، فلا يناسب من كان عالماً أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل [٨] . وهذا الخطاب وإن ورد فيهم ، فهو تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثلهِ فصار الخِطاب وإن كان خاصاً في الصورة ، لكنه عام في المعنى [٩] .

---

(١) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٥٣ ؛ المقتطف من عيون التفاسير : ٧٦ .
(٢) فتح القدير : ١ / ١٧٦ .
(٣) تفسير البغوي : ١ / ٩٨ .
(٤) ينظر : تفسير أبي السعود : ١٦٧/١؛ صفوة التفاسير: ٥٣/١ ؛ حدائق الروح والريحان:٤٠٤/١ .
(٥) ينظر : البحر المحيط : ١ / ٣٣٥ .
(٦) فتح القدير : ١ / ١٧٦ .
(٧) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٤٧٢ .
(٨) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٤٦ ؛ البحر المحيط : ١ / ٣٣٥ .
(٩) التفسير الكبير : ٣ / ٤٣ .

وهذه الثلاثية القرآنية تُصور لنا حال المُضيعيين وأنّ لهم أوصافاً على العاقل أن يبتعد عنها لينال رضا الله تعالى، والغرض البلاغي منها هو التحذير الذي جاء بصيغة النهي .

٣ . قال تعالى :﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [الآية : ٥٠] .

هذه الثلاثية القرآنية هي إخبار من الله ﷻ عن فرعون وما جرى له ولقومهِ ، وقد وردت تفصيلات هذه النجاة في السور المكية، أما هنا فهو مُجرد التذكير لقوم يعرفون القصة ، سواء من القرآن المكي أو من كتبهم إنّما يذكرهم بها في صورة مشهد ، ليستعيدوا تصورها ، ويتأثروا بهذا التصور وكأنهم هم الذين كانوا ينظرون إلى فرق البحر [١] . والفرق : هو الفصل أو التمييز بين الشيئين أي : فصلنا بعضه عن بعض [٢] ، وقُرئ ﴿ فَرَقْنَا ﴾ " على بناء التكثير لأنّ المسالك كانت اثني عشر بعد الأسباط " [٣] .. وهنا نكتة بلاغية إذ إنّ الله ﷻ " أخبر أنه فَرق البحر بالقوم ، ولم يخبر أنه فرّق بين القوم وبين البحر " [٤] . ومعنى ﴿ بِكُمُ ﴾ أي بسببكم [٥] " لأنّ الكلام مسوق لتعداد النعم والإمتنان وفي السببية دلالة على تعظيمهم وهو أيضاً من النعم،وقيل الباء بمعنى اللام كقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي : لأنّ الله هو الحق " [٦] . قال الزمخشري معنى ﴿ بِكُمُ ﴾ فيه وجوه " أنه يُراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم ، فكأنما فرّق بهم كما يُفرّق بين الشيئين بما يوسط بينهما ، وأن يراد فرقناهُ بسببكم وبسبب إنجائكم ، وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه مُلتبساً بكم " [٧] . فالمقطع الأول من الثلاثية والمتمثل بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ يُعدُّ " تمهيداً للمنه لأنه سبب الأمرين ،

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ٩٠ . ٩١ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٣ / ٧٠ ؛ البحر المحيط : ١ / ٣٥٣ ؛ النكت والعيون : ١ / ١١٩ .
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١ / ٧٩ .
(٤) تفسير الطبري جامع البيان : ٢ / ٥٠ .
(٥) ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ١ / ٢٣٦ .
(٦) تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٣٧٩ .
(٧) الكشاف : ١ / ٢٨٦ .

النجاة والهلاك وهو مع ذلك مُعجزة لموسى عليه السلام [١] فالنجاة لموسى عليه السلام ومن معه والهلاك لفرعون ومن على شاكلتهِ ، وهذه الصور تُعدُّ " إستعارة تبعية بأن يُشبه سلوكهم بالآلة في كونهِ واسطة في حصول الفرق من الله " [٢] . أما المقطع الثاني من الثلاثية فهو قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ . وقولهِ تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ ﴾ فهو نتيجة لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ ، وجاءت معطوفة على فَرَقْنا والذي نجّاهم هو الله وهذا من مَنِّهِ ونعمته عليه وكأنه تذكير لهم بعبادتهِ وشكرهِ ، في قوله تعالى ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ فيه مُقابلة بين قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ﴾ ، وفيه حذف أيضاً فحذف ذكر فرعون وإنه معهم " لأنه قد عُلِمَ دخوله فيهم " [٣] . وأُريد فرعون وقومهِ وإنما اقتصر على ذكرهم أي ﴿ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ للعلم بأنه أولى به منهم [٤] . أما خاتمة هذه الثلاثية وهي قوله تعالى ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ والعبرة فيها " ليكون ذلك أشفى لصدوركم وأبلغ في إهانةً عدوكم " [٥] ، وفي هذا المقطع من الثلاثية قولان " **أحدهما:** أنه من نظر العين معناه : وأنتم ترونهم يغرقون . **والثاني** : أنه بمعنى العلم ، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان : ٤٥] " [٦] . والقول الأول هو الأصوب لأنه مشهد حصل أمام الجميع رأي العين . والله أعلم . والغرض البلاغي في هذهِ الثلاثية هو الإعتبار من أجل الامتنان والشكر لله عز وجل .

٤ . قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الآية : ١١٩) .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٤٩٥ .
(٢) روح المعاني : ١ / ٢٥٥ .
(٣) النكت والعيون : ١ / ١١٩ .
(٤) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٠١ ؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١ / ٧٩ .
(٥) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٩١ .
(٦) زاد المسير : ١ / ٧٩ .

هذه الثلاثية القرآنية جمعت رسالة النبي ﷺ بأنه بشير ، والثانية نذير ، والثالث أنه لا تسأل عن أصحاب الجحيم ، فإنما عليه البلاغ وحسب . فمطلع الآية ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ف، ﴿ إِنَّآ ﴾ المرتبطة بـ ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ أُسلوبٌ من أساليب التشريف لرسول الله ﷺ ، و ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ المُرسل هو الله . وأيضاً جاءت بصيغة الجمع ولم يقل جلَّ في عُلاهُ أَرسلتُك فهي تتناسب مع اللفظة التي قبلها وكلمة ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ تعني بالصدق أو الحق أو القرآن أو الإسلام أو بالشريعة ، وفي جملة ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ تثبيت لقلب النبي ﷺ وتسليةٌ له ، ثم تأتي المهام المُكلف بها بأنه بشير ونذير ولا تسأل عن أصحاب الجحيم .

ولفظة ﴿تُسۡـَٔلُ﴾ إما أن تكون نهياً أو خبراً ، فإذا قُرئت بفتح التاء (تَسأل) كانت نهياً ، وإذا قُرئت بضم التاء ورفع اللام﴿تُسۡـَٔلُ﴾ كانت خبراً، وهناك وجه ثالث وهي أن تكون نفياً ، وهي في حالة الضم ﴿تُسۡـَٔلُ﴾ [1] . وخاتمة الثلاثية ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ والمعنى أي : أهل النار وسميت النار جحيماً " لشدة تأججها ، وقيل الجحيم معظم النار " [2] ، وفي هذه الآية ملاحظ بلاغية مِنها أنه عبّر عن الكافرين والمكذبين بـ ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ وهذا باعتبار ما يكون أو باعتبار حالهم يوم القيامة إن لم يتوبوا ، وهذا إيذان بأنّ أولئك المعاندين من المطبوع على قلوبهم،فلا يُرجى منهم الرجوع عن الكفر والضلال إلى الإيمان والإذعان ، وهو وعيد شديد لهم [3] . وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ وجه بلاغي آخر وهو تعظيم ، وتهويل ما وقع فيهِ الكفار من العذاب . " ووجه التعظيم أنّ المستخبر يجزع أن يُجري على لسانه ما هو فيهِ لفظاعتهِ ، فلا تسأله " [4] ، وفيه أيضاً " مجاز مرسل بعلاقة اللزوم لأنّ المعنى بالشيء المتطلع

(١) ينظر : الخازن : ١ / ١٣٥ ؛ زاد المسير : ١ / ١٣٧ .
(٢) تفسير الخازن : ١ / ١٣٥ .
(٣) ينظر : محاسن التأويل : ١ / ٣٨٦ ؛ صفوة التفاسير : ١ / ٩٢ ؛ التفسير المنير : ١ / ٢٩٥ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ١ / ٢٨٠ .
(٤) الكشاف : ١ / ٣٠٥ .

لمعرفة أحواله يكثر من السؤال عنه أو هو كناية عن فظاعة أحوال المشركين والكافرين حتى أنّ المتفكر في مصير حالهم يُنهى عن الإشتغال بذلك [١] . وفي قوله تعالى ﴿ **وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ** ﴾ ملحظان ، **الأول** : " أنه تذييل معطوف على ما قبله ، **والثاني** : إعتراض أو حال ، أي أرسلناك غير مسؤول عن أصحاب الجحيم ومالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت ما أُرسلت بهِ وألزمت الحُجة عليهم " [٢] ، فهذه الثلاثية القرآنية حوت أنواعاً عديدة من الأوجه البلاغية كالتعظيم ، والمجاز المرسل ، والكناية ، والتذييل ، وهذا يدل على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم . والغرض البلاغي بشكل عام هو لتشريف النبي محمد ﷺ .

٥ . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ١٦٩] .

هذه صورة ثلاثية أخرى لعداوة الشيطان وفعلهِ تجاه بني آدم وأنّه يأمر بالسوء ، والفحشاء ، وأنّ تقولوا على الله مالا تعلمون . وهذه الثلاثية القرآنية تُوحي أن على المسلم أن يبتعد عن مكائدهِ ، وهو بمثابة تحذيرٍ وتنبيهٍ منه تعالى . فبدأت الثلاثية بأداة الحصر ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَأْمُرُكُم** ﴾ " استئناف لبيان كيفية عداوته " [٣] ، وإنّ أول ما يأمر به (السوء) والسوء " مصدر من ساءَ تَسُوءُ ، وهي المعاصي " [٤] ، وهي تُطلق على جميع المعاصي " سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب " [٥].وهذه الكلمة ذات معنى عميق لعداوة الشيطان لبني آدم ، ثم ورد بعد السوء الفحشاء ، والفحشاء هي : " ما تفاحش ذِكرهُ وأصل الفُحش : قُبح المنظر فكل ما نهت عنه الشريعة ، فهو من الفحشاء " [٦] . ولفظة السوء يُراد بها العموم . والفحشاء كأنه تخصيص المعصية ، وهو

(١) تفسير التحرير والتنوير : ١ / ٦٩٢ .
(٢) روح المعاني : ١ / ٣٧٠ .
(٣) تفسير أبي السعود : ١ / ١٨٨ ؛ التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١ / ٣٤٤ .
(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ١ / ٣٥٥ .
(٥) تفسير أبي السعود : ١ / ١٨٨ .
(٦) الجواهر الحسان في تفسر القرآن : ١ / ٣٥٥ .

من باب عطف الخاص على العام " لأنّ السوء يتناول جميع المعاصي والفحشاء أقبح وأفحش المعاصي " (١) . وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم ﴾ إستعارة تصريحية تبعية .

يقول الزمخشري : " فإنْ قُلتَ : كيف كان الشيطان آمِراً مع قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ... ؟ ﴾ قلتُ : شبّه تزيينهُ وبعثهُ على الشر بأمر الآمر، كما يُقال أمرتني نفسي بكذا . وتحته رَمَزَ إلى أنكم فيه بمنزلة المأمورين لطاعتِكم لهُ وقبولكم وساوسهِ " (٢) . و ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم ﴾ إستعارة تبعية " ويَتبعُها الزجر إلى المخاطبين بمنزلة المأمورين المنقادين له وفيه تسفيه رأيهم وتحقير شأنهم " (٣) . وختمت الثلاثية بقوله تعالى ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ " تعليق أمر الشيطان بتقولهم على الله مالا يعلمون وقوعهُ منه تعالى، مع أنّ حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فإنّ التحذير من الأول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على أبلغ وجه وآكده " (٤) . وجملة ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لها علاقة بالتي قبلها وقد عطفت عليها وهناك علاقة بين السوء والفحشاء وأنّ القول على الله أشدّ من السوء والفحشاء ، لأنه إعتداء على مقام الألوهية ، وقد وضحت هذه الثلاثية هذا المفهوم . والله أعلم . والغرض البلاغي في هذه الآية هو للتنبيه عمّا يأمر بهِ الشيطان بني آدم ، وكذلك التحذير من طاعته .

٦ . قال تعالى :﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [الآية : ٢٠١] .

في هذه الثلاثية القرآنية عدد من الأوجه البلاغية وقد بدأت بأسلوب الدعاء ، وهذا هو الغرض الأبرز في الآية ، وقد كانت عادتهم قبل الإسلام الدعاء لمصالحهم الدنيوية

(١) صفوة التفاسير : ١١٦/١ ؛ التفسير المنير : ٢/ ٧١ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ١١٧
(٢) الكشاف : ١ / ٣٢٨ ؛ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٢ / ٣٣٧ .
(٣) روح المعاني : ٢ / ٣٩ ؛ تفسير حدائق الروح والريحان : ٣ / ١١٧ .
(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٢ / ٣٣٧ .

فنُهوا عن ذلك [١] ، وهذا الدعاء الذي في مطلع الآية جاء بصيغة الإخبار عن حال المؤمنين ، والوجه البلاغي الآخر في هذه الثلاثية قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ فهو طلب بصيغة الدعاء لأنه من الأدنى إلى الأعلى وأنّ حسنة الدنيا هي: العلم والعبادة ، وحسنة الآخرة : الجنّة بإجماع [٢] ، وذكر ذلك الحسن البصري ، وأما الوجه البلاغي الثالث هو طباق إيجاب بين كلمتي ﴿ ٱلدُّنْيَا ﴾ و ﴿ ٱلْآخِرَةِ ﴾ . وقد جاءت لفظة ﴿ حَسَنَةً ﴾ في سياق الدعاء بصيغة التنكير لتفيد العموم وذلك لأنّ الدعاء يقصد به العموم [٣] وفي الآية جناس تام إذا تكررت لفظه ﴿ حَسَنَةً ﴾ مرتين بنفس الحروف ، ولكن بمعنيين مختلفين ، فالحسنة الأولى ، هي العلم والعبادة والحسنة الثانية هي الجنة بإجماع . ويقول الرازي : لو أنه عَرفَ الحسنة فقال آتنا في الدنيا الحسنة وفي الآخرة الحسنة لكان ذلك جامعاً لكل الحسنات ، ولكنه تعالى نكرهما من غير تعريف وهذه نكرة في محل الإثبات فلا يتناول إلاّ حسنة واحدة . واختلف المفسرون فكل واحدٍ منهم حملَ اللفظ على ما رآه أحسن أنواع الحسنة ولما ذكر تعالى ﴿ حَسَنَةً ﴾ على سبيل التنكير كان المراد منه حسنة واحدة وهي التي تكون موافقة لقضائهِ وقدرته وحكمته [٤] ، وتمثل الطلب الثالث للمؤمنين في الآية بقوله تعالى ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ وهو زيادة في الدعاء ، والعلّة في ذلك " لأنّ حصول الحسنة في الآخرة قد يكون بعد عذاب ما ، فأُريدَ التصريح في الدعاء بطلب الوقاية من النار " [٥] ،وهذه الثلاثية جمعت بالدعاء لخيري الدنيا والآخرة . وتتمثل الخيرية بطلب الحسنة والوقاية من النار . والغرض البلاغي من هذه الثلاثية هو الحث على الدعاء .

٧ . قال تعالى : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [الآية ٢٣٨] .

---

(١) ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ١ / ٤٢٤ .
(٢) ينظر : م . ن .
(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢ / ٥٧ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٥ / ١٧٠ . ١٧١ .
(٥) تفسير التحرير والتنوير : ٢ / ٢٤٨ .

في هذه الثلاثية القرآنية أكثر من وجه بلاغي ، فقد بدأت الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ ﴾ وهي صيغة أمرية ، ومعناها " المداومة على الشيء والمواظبة عليه " [١] ، وجملة ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ هي صيغة مفاعلة استعملت هنا للمبالغة على غير الحقيقة . ومعنى المحافظة هي: المداومة على أوقاتها من أن تُؤخر عنها ، والمحافظة تؤذن بأن المتعلق بها حق عظيم يُخشى التفريط فيهِ [٢] ، والخطاب لجميع الأمة ، وفي الآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلاة في أوقاتها بجميع شروطها [٣] . وفي قوله تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ هناك تأكيد ، وتكرار ، وجناس ، وعموم ، وخصوص . أما التأكيد فتمثل في قوله تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ ، وذلك بشكل عام ثم جاء التأكيد على ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ . وأما التكرار في كلمة ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فقد تكررت مرتين . وأما العموم والخصوص ، فالمقصود كلمة ﴿ ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ أولاً ثم خصص الصلاة الوسطى . وقيل أنّ (الصلاة الوسطى) هي صلاة العصر ، وقيل أنّها صلاة الصبح وكل منهما له دليل ، وقد " أُفردت وعطفت على الصلوات لإنفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لأنها أوسط الصلوات محلاً " [٤] . وقال سيد قطب " أمّا الصلاة الوسطى فالأرجح من مجموع الروايات أنها صلاة العصر وتخصيصها بالذكر رُبمّا لأنّ وقتها يجيئ بعد نومة القيلولة ، وقد تفوت المصلي " [٥] . وفائدة تكرار كلمة الصلاة لأنه تعالى قصد تشريفها وتعظيمها وإغراء المصلين بها [٦] . وقال القاسمي " وأمر بالمحافظة على الصلاة أداءً متوسطاً لا طويلاً مُمِلاً ولها قصيراً مُخِلاً ، أي : والصلاة المتوسطة بين الطول والقصر " [٧] . وهذه الثلاثية بعد أن بدأت بصيغة الأمر

---

(١) صفوة التفاسير : ١ / ١٥٣ .
(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢ / ٤٦٦ .
(٣) المحرر الوجيز : ٢ / ٥٩٧ .
(٤) تفسير الخازن : ١ / ٣١٧ ؛ وينظر : الإعجاز البلاغي : ٤٩ .
(٥) في ظلال القرآن : ٢ / ٣٧٧ .
(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٥٩٨ .
(٧) محاسن التأويل : ٣ / ٦٢٦ .

جاء الإرتباط بحرف العطف الواو مرتين الأولى بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، والثاني أمر بالقنوت لله والمعنى " أي داوموا على العبادة والطاعة بالخشوع والخضوع أي : قوموا لله خاشعين " [١] . وإنّ الغرض البلاغي الأبرز في هذه الثلاثية القرآنية هو لزيادة التنبيه إلى أهمية الصلاة لأنها الركن الأساس وإلى أهمية الخشوع فيها فلا صلاة من غير خشوع .

٨ . **قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [الآية : ٢٧٦] .**

هذه الثلاثية القرآنية إخبار من الله ﷻ عن حال من يتعامل بالربا ، وأنّ الله يتوعدهُ بمحق مالهِ في الدنيا ، والعذاب في الآخرة في آيات أُخر. وفي الوقت نفسه أنّ الله تعالى يُبشر بالبركة للمتصدقين بأموالهم . وقد خُتمت هذهِ الثلاثية القرآنية بجملة مُعترضة مفادُها أنّ الله لا يحب الكافرين .

إذ بدأت الثلاثية بقوله تعالى ﴿ يَمْحَقُ ﴾ وهي : تهديد ووعيد وإنذار للمتعاملين بالربا . ومعنى المحق " نقصان الشيء حالاً بعد حال ومنه المحاق في الهلال " [٢] ، ومعنى قوله تعالى ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ " يُذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه " [٣] ، وبعد هذا التهديد والوعيد جاءت البِشارة من الله ﷻ بالزيادة في الصدقات قال تعالى : ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ولفظة (يُربي) قُرئت " بضم الياء والتخفيف (يُربي) من رِبا الشيء ، يربو وأرباهُ يربيهِ أي كثّرهُ ونمّاهُ ينميهِ ، وقرئ يربي بالضم والتشديد (يُرّبي) من التربية " [٤] ، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ ((**من تصدق بِعَدلِ تمرةٍ من كسبٍ طيّبٍ ، ولا يقبل اللهُ إلاّ الطيّب ، فإنّ الله يَتَقَبَلُها بيمينهِ ثمَّ يُرَبيَّها كما يُربي أَحدُكم فلوهُ حتى تكون مِثلَ الجبل**)) [٥] ، فوضحت الآية أنّ الربا وإن كان زيادةً في الظاهر ،

---

(١) صفوة التفاسير : ١ / ١٥٤ .
(٢) التفسير الكبير : ٧ / ٩٥ .
(٣) تفسير الكشاف : ١ / ٤٠١ ؛ تفسير مواهب الرحمن : ٢ / ١١٧ .
(٤) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٣٢٩ .
(٥) الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري ، رقم الحديث (١٤١٠) : ٢ / ١٣٤ .

إلاّ أنه نقصان في الحقيقة ، وإنّ الصدقة وإن كانت نقصان في الظاهر ، إلاّ أنّها زيادة في المعنى [١].وفي الآية طباق بين لفظتي ﴿ يَمْحَقُ ﴾ و ﴿ وَيُرْبِي ﴾ وكذلك فيها جناس مُغاير بين لفظتي (ربا) و (يربي) .

وختمت الثلاثية القرآنية بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ " والآية لعموم السلب لا لسلب العموم إذ لا فرق بين واحدٍ وواحد " [٢] والواو إستئنافية ، وجملة ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ مُعترضة بين أحكام الربا ومفادها أنّ الله لا يحب الكافرين الآثمين[٣] ،ولفظة ﴿ كُلَّ ﴾ دالة على العموم والشمول وهي : " موضوعة لإستغراق لإفراد ما تضاف إليه " [٤] . ولفظة ﴿ كَفَّارٍ ﴾ على وزن فعّال وهو للمبالغة أي : عظيم الكفر ، ولفظة ﴿ أَثِيمٍ ﴾ على وزن فعيل للمبالغة ، أي : شديد الأثم ، وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ تغليظ أمر الربا وإشعار بأنه من فعل الكفار [٥] ، أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والعمل [٦] . والفائدة من صيغة المبالغة في لفظتي ﴿ كَفَّارٍ ﴾ و ﴿ أَثِيمٍ ﴾ للتنبيه على فظاعة وبشاعة وحرمة أكل الربا ومُستحِله [٧] .

قال الرازي : " إنّ الكفار راجعاً إلى المستحيل ، والأثيم راجعاً إلى من يفعلهُ مع إعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين " [٨] ، وإنّ لفظة كفاراً بدل كافر لمن هو مُقيم على الكفر ، ثم أَتبعهُ بقوله ﴿ أَثِيمٍ ﴾ وأثيم أبلغ من آثم ، فإذا كفر كُفراً بعد كفر وأقام عليهِ وهو وصف من أخبر عنه سمّاهُ كفاراً فصارَ أثيماً بذلك [٩] . والمناسبة في ختم

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٧ / ٩٥ .
(٢) روح المعاني : ٣ / ٥١ .
(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٤ / ٩١ .
(٤) م . ن .
(٥) ينظر : الكشاف : ١ / ٤٠١ ؛ صفوة التفاسير : ١ / ١٧٥ .
(٦) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١ / ٣٢٩ .
(٧) روح المعاني : ٣ / ٥١ .
(٨) التفسير الكبير : ٧ / ٩٦ .
(٩) ينظر : درّة التنزيل وغرّة التأويل : ٥٣ .

هذه الآية بهذه الصفة ، وهي أنّ المُرابي لا يرضى بما قسم الله له من رزق حلال ولا يكتفي بما شرع له من الرزق المُباح [١] ، وإنّ الغرض البلاغي الوارد في مطلع وخاتمة الثلاثية كان تهديداً ووعيداً ، وأما في وسطها فكان بشارة للمتصدقين .

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١ / ٣٢٩ .

The Qur'anic Triads : A Rhetorical Study : Baqra Sura as a Sample

Dr Qasim Fathi Suleiman

Abstract

Praise to Almighty Allah and peace and prayers be upon the Prophet Muhammed .

Threefold in the Glorious Quran are various and large in number. This research is limited to examine threefold in Surat Al – Baqara only as there are so many examples in it. Surat Al – Baqara contains nominal threefold, verbal threefold and nominal verbal threefold.

These three types of Quranic threefold form a connected picture or scenery , The research is divided into three parts :
The first part includes verbal Quranic threefold as the third Aya of Surah Al – Baqara was from this type .
The second part contains nominal threefold.
The third part investigates nominal verbal threefold which are broader than the first two types because of the large number of examples in the Surah . All types of threefold have at least one or more than one rhetorical purpose such as revealing situation , threatening , warning , cautioning , inhibition , specification…. etc .